كتاب الأمة

سلسلة دورية تصدر كل شهرين عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - قطر

العدد: ٩٥ جمادى الأولى ١٤٢٤هـ السنة الثالثة والعشرون

من أساليب الإقناع في القرآن الكريم

د. معتصم بابكر مصطفى

أساليب الإقناع
في القرآن الكريم

د. معتصم بابكر مصطفى

الطبعة الأولى
جمادى الأولى ١٤٢٤هـ
تموز (يوليو) ٢٠٠٣م

د. معتصم بابكر مصطفى
أساليب الإقناع في القرآن الكريم
الدوحة: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ٢٠٠٣م.
١٤٤ ص، ٢٠سم - (كتاب الأمة،٩٥)
رقم الإيداع بدار الكتب القطرية: ٢٠٠٣ / ٣٦٤
الرقم الدولي (ردمك): ٩ - ٦٥ - ٤٨ -٩٩٩٢١
أ. العنوان ب. السلسلة

حقوق الطبع محفوظة

لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
بدولـــة قطـــر

موقعنا على الإنترنت : www.Islam.gov.qa
البريد الإلكتروني: E. Mail: M_Dirasat@Islam.gov.qa

ما ينشـــر في هذه الســـلســـلة يعبر عن رأي مؤلفـــيها

قال تعالى:

﴿ ... قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾

(سورة النمل)

تقديم

عمر عبيد حسنه

الحمـــد لله الذي أنزل الكتاب على عبده ليكون للعالمين نذيراً، وجعـــل معجزة الرسالة الخاتمة (القرآن) معجزة عقلية برهانية بيانية، وعرفانية في الوقت نفسه، خالدة ممتدة، مستمرة الإعجاز والإقناع، مجـــردة عن حدود الزمان والمكان، مخاطبة لعقل الإنسان، متميزة عن سائر معجزات النبوة التاريخية، التي جاءت مجسَّدَة بفعل بشري خارق للعادة، مرتبطة بأشخاص الأنبياء، مؤقتة بوجودهم، الأمر الذي يشير إلى أن النـــبوات الســـابقة كانت خاصـــة بأقوام بعينهم، وأزمـــان بذاتهـــا، وأن الإيمـــان بالنبوة والمعجزة ممن لم يعاصرها ويشهدها هو نوع من الإيمان بالغيب، من بعض الوجوه، وفي ذلك حكمة بالغة.

ذلك أن الإنسان في تطور حياته وأطواره، منذ النبوة الأولى، وحتى الرســـالة الخاتمة، حيث بلغت البشرية طور الرشد العقلي، كان يتطلب معجزات حسية مجسدة، ميسرة الإدراك؛ لأن الانتقال من التجسيد إلى التجريد، ومن الذات إلى القيمة، ومن الفعل المجسد المنظور الملموس إلى المـــنهج المـــدرك، يتطلب رشداً بشرياً، وتفكراً وتفكيراً، وقدرة على الملاحظة والمقارنة والمقايسة والاستدلال والبرهان، لتجاوز الصورة إلى

الحقـــيقة، واختيار الصواب للوصول للتي هي أقوم، قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾ (الإسراء:٩).

فالقـــرآن معجزة الرسالة الخاتمة، هو معجزة عقلية فكرية برهانية بيانـــية — كمـــا أسلفنا - لذلك كانت إحدى التحديات والعظات: الدعوة إلى التفكير والتفكر المجرد، والنظر، للوصول إلى الحقيقة: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ ﴾ (سبأ:٤٦)، وبذلك كان القرآن معجزة خالدة تخاطب عقل الإنسان، أينما كان ومتى كان، ومن هنا أدرك الشاعر هذا المعنى عندما قال:

جاء النبيون بالآيات فانصرمت وجئتنا بحكيم غير منصرم

والصلاة والسلام على الذي أوتي جوامع الكلم، وكان محلاً لتلقي القرآن، قال تعالى: ﴿ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾ (المزمل:٥)، فكان بذلك إمام البيان وترجمان القرآن، وحسبنا قولة السيدة عائشة رضي الله عنـــها: «**كَـــانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ**» (أخرجه الإمام أحمد)، الذي أيده ربه بالكثير من المعجزات الحسية المجسدة، التي تجلت لأنظار البشرية كسائر الأنبياء السابقين، إلى جانب معجزة القرآن، لتكون دليلاً على نبوته في بـــناء القـــاعدة البشرية الأولى، لكن ذلك جميعه لم يعتبر من المعجزات الخالدة الممتدة على الزمان في حياة الرسول ﷺ وبعد وفاته.

ولقـــد أكد عـــليه الصلاة والسلام هذا المعنى للمعجزة بقوله: «مَا مِنَ الأَنْبِيَاءِ نَبِيٌّ إِلا أُعْطِيَ مَا مِثْلهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيَّ» (أخرجه البخاري).

وبعد:

فهـــذا كـــتاب الأمة الخامس والتسعون: «**أساليب الإقناع في القرآن الكريم**» للدكتور معتصم بابكر مصطفى، في سلسلة الكتب التي يصدرها مركز البحوث والدراسات في وزارة الأوقاف والشؤون الإســـلامية بدولـــة قطر، في محاولة لاسترداد دور القيم، في الكتاب والســـنة، والانطـــلاق مـــنها في الحوار الحضاري والمجاهدة الفكرية وصِـــياغة حـــياة الـــناس وإعادة تشكيلهم الثقافي، وتحقيق الخلود واســـتمرار العطـــاء، الذي يعتبر من أخص خصائص الرسالة الخاتمة والمعجـــزة الخالدة، وامتلاك القدرة على الإنتاج، مستهدين في ذلك بمـــنهج السيرة النبوية في تعاملها مع القرآن، التي جسدت قيم الوحي في واقع الناس، وأقامت البناء من خلال عزمات البشر، ومستصحبين للتاريخ والتراث الإسلامي بكل غناه وعبره وتجاربه.

ذلك أن الإشكالية -فيما نرى- تتمثل في عدم القدرة على تحديد موقـــع التأسي وكيفيات التنـــزيل القرآني على واقع الناس من خلال مسيرة السيرة الطويلة، مع تقلب الظروف وتطور الإمكانات المختلفة،

وامـــتلاك القدرة على وضع الحاضر بكل مكوناته وإمكاناته في الموقع المناســـب، الذي يشكل محل الاقتداء في هذه المرحلة وتلك الإمكانات مـــن مســـيرة السيرة، والاجتهاد في اختيار الحكم المناسب، والاهتداء بالســـيرة لتـــنـــزيل الآيـــات القرآنـــية على واقع الناس، من خلال اســـتطاعاتهم، وبـــيان حـــدود التكليف، وإدراك مواصفات الخطاب القـــرآني، وتوفـــر شـــروط محل التكليف، والقدرة على التمييز بين التـــنـــزيل المشار إليه المنوط بتوفر الاستطاعة، وبين الإسقاط الخطير للآيات والأحاديث على واقع لم تتوفر له الشروط المطلوبة للتكليف.

هـــذا مـــن جانـــب، ومن جانب آخر نعتقد أنه لا بد من إزالة الالتباس بين اجتهادات البشر ونصوص الوحي، ذلك أن الاجتهادات مـــع أنها من عطاء الوحي إلا أن ذلك لا يمنحها القدسية والعصمة التي تجعلها محلاً للاقتداء والتأسي والتنـــزيل، وإنما تبقيها محلاً للعبرة والعظة والـــتجربة.. فالمشـــكلة تكمن في الخلط بين قول الشارع في الكتاب والسنة وفهم الشارح في التراث؛ الخلط بين الذات والقيمة، والنكوص عـــن الـــتجريد، الـــذي يعتبر محور المعجزة القرآنية والذي يعني أهلية الرشد، إلى التجسيد الذي يمثل مرحلة الانتكاس والطفولة العقلية.

ولعل اعتماد القرآن ليكون معجزة الرسول ﷺ أو معجزة الرسالة الخاتمة دون سائر المعجزات المادية المجسدة، التي اشترك فيها الرسول ﷺ

مع ســـائر الأنبياء من قبله، ولّما نراها نحن، وإنما نؤمن بها إيماننا بالغيب عن طريق الخبر الصادق، يعتبر ذا دلالات متعددة في هذا الموضوع.

فالتجريد الذي تميزت به معجزة الرسالة الخاتمة (القرآن) هو نوع من التخصيب الذهـــني والنمو العقلي، الذي يعتبر من أعلى مراتب العقل، كما يعني - فيما يعني - القدرة الذهنية والفكرية على النظر مـــن خلاله إلى الأشياء المجسدة والواقعة، ومعايرتها، وامتلاك القدرة عـــلى تقويمهـــا، فالتجريد قيمة ومعيار ممتد، والتجسيد تحلٍ وذات تشـــكل حـــيزاً في الـــزمان والمكان.. وبذلك فالتجريد خالد، محله الإنسان العاقل المكلف.

والقرآن، المعجزة المجردة، أول ما يخاطب العقل ويرتقي به لأعلى مراتـــبه، ويدعوه للاستعمال والتشغيل والتفكر، ليصل إلى القناعة، ويصـــبح قادراً على التمييز والمقايسة والاستنتاج والمقارنة، وهي من أهـــم أدوات الإقناع، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ﴾ (سبأ:٤٦)، فالقناعة تأتي ثمرة للدليل والبرهان المتولد من النظر.

ولم يكـــتف القـــرآن بمخاطبة العقل، وإنما وضع الإنسان، بكل حواســـه ووعيه، في المناخ العلمي، ولفت نظره إلى الأشياء من حوله،

ودعـــاه إلى التأمل والنظر فيها، للوصول إلى اكتشاف السنة والقانون الـــذي ينـــتظمها؛ ولم يقتصـــر على ذلك، بل درّبه أيضاً على آليات وكيفيات النظر في الآيات، واستنتاج القانون، الذي هو طريق الوصول إلى الحق: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ (فصلت:٥٣)، فميدان النظر الفسيح الذي فتحه القرآن أمـــام الإنسان هي آيات الآفاق والكون، بكل أبعاده وكل ما فيه، وآيـــات الأنفس بكل أغوارها وكل طواياها، ومنحه الأبجديات لهذا الـــنظر وهذه القراءة: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾ (البقرة: ٣١).. فقوانـــين الأشـــياء والأفلاك والعلوم الطبيعية مطردة، وليست عبثية، وكذلـــك قوانين العلوم الاجتماعية والإنسانية، فهي ميادين فسيحة للنظر والاعتبار واكتشاف السنن.

ولعل دعوة القرآن إلى النظر في قوانين الأشياء والآفاق والأكوان كمرحلة أولى تقع تحت الحواس، هي السبيل لإدراك قوانين الأفكار والاجـــتماع والإنسان، ومن هنا قُدِّمت رؤية آيات الآفاق في الآية عـــلى رؤيتها في الأنفس، لتكون أحد السبل للوصول إليها؛ وهي في الـــنهاية قوانـــين واحـــدة منســـجمة ومتوازية، مبرأة من الارتطام والاصطدام، الأمر الذي يؤكد أن مصدرها واحد، هو الحق المطلق،

سـبحانه وتعـالى، وبذلك تصبح هذه الحقيقة: الإيمان بالله واجب الوجود من الناحية العقلية.

وبالإمكـان القـول هنا: بأن القرآن الذي كان البوصلة والدليل والمحـرك لعقل الإنسان، كان محور هذا التراث الفكري العظيم، وهذا الإنـتاج الـثقافي والعلمي والعقلي على مدى خمسة عشر قرناً؛ فكل الإنـتاج المعرفي تمحور حول القرآن، وارتكز إلى القرآن، وانطلق من مرجعية القرآن، وتحرك في جميع المجالات في مناخ القرآن، بما في ذلك الإنـتاج العلمي التجريبي، الذي يأتي ثمرة النظرة العلمية لعالم الأشياء والأكوان، واكتشاف نواميسها، وكل يوم يتكشف جديد يزيد اليقين والقـناعة بما يمنحه القرآن من رؤية، وكل يوم تدافع سنة بسنة وقدر بقـدر، وتـتقدم الرحلة العلمية بالدفع القرآني لعقل الإنسان، والدفق الإنساني في حواسه ومشاعره.

بـل قد نقول أيضاً: بأن الجدلية المعرفية، التي تعتبر المحرك الأساس لعملية الكشف العلمي، كانت وليدة طبيعية للمعجزة المجردة (القرآن)، وتحريضها الذهني، سواء كانت دفاعاً عن القرآن وبياناً لمعطياته أو دفعاً لحقائقـه ورؤيـته.. فالقرآن هو المحرك الذهني الذي ينظم المعادلات العقلـية في كـل الأحوال؛ ولعل هذه الجدلية هي التي أدت إلى وفرة الإنتاج الثقافي عموماً.

فالمعجزة المجردة (القرآن) لم تأت لتشل الطاقة وتوقع الإنسان في العجـــز عـــن الفعل، وتلغي العزيمة، وتعطل القدرة الذهنية، وتطفئ الفاعلية، وتؤدي إلى الاستنقاع الاجتماعي والجمود الذهني والعقلي والاستســـلام، والانـــتهاء إلى الجـــبرية الذهنية، وهذا منحى جدير بالتأمل، بل كانت سبباً في استنفار العقل، وتشغيل الحواس، وتحريك القوى الفاعلة بالإنسان، وتفجير الطاقات الكامنة فيه، وبناء القناعة العقلـــية، والوصـــول إلى الصـــواب، ولفت النظر إلى ما يمتلك من مؤهلات انطوى فيها الكون كله:

وتحسب أنك جُرْمٌ صغيرٌ وفيك انطوى العالَمُ الأكبر

هذا الانطواء للعالم الأكبر في الذات البشرية يعني أن القرآن دعا الإنسان للتعرف على طاقاته الهائلة، المتجددة وغير المحدودة، التي تسع العـــالم الأكبر، ومن ثم ينطلق بكل ما يمتلك لتحقيق خلافته في هذا العـــالم، ويتعرف إلى مكنوناته، وينظر في طواياه وخباياه وما ينطوي عليه، حتى يكون قادراً على تعميره والقدرة على تسخيره.

لقد كانت معجزة القرآن، وما تزال إلى يوم الدين، محرضاً علمياً وثقافـــياً ومعرفياً، ولئن عجز الناس عن الإتيان بمثله فإنهم لم يعجزوا عـــن تحقـــيق مدلولاتـــه وإدراك مقاصده، وتجسيد قيمه، من خلال عزمات البشر، فهو معجزة استنفرت العقل البشري، لا للإتيان بمثلها وإنما للارتقاء بها وتحقيق دلالاتها في النفس والمجتمع والكون.

لقـــد كانـــت محاولة محاكاة هذه المعجزة، والتحرك من خلال نضـــحها وعطائهـــا، والقـــدرة على تجسيدها، وتوليد مقاصدها، واستنباط عطائها في كل عصر، سبيل حياة الأمة المسلمة، وامتدادها، وصمودها، ومناعتها، وأكثر من ذلك كانت السبيل لمعاودة نهوضها من كبواتها، قال تعالى: ﴿ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (الزخرف:٤٣).

لقـــد جعـــل القرآن التفكير مفتاح الاستدلال والعلم، وتشكيل القناعة، وإدراك حقائق الدين ووحيه؛ والاجتهاد عبادة مأجورة، أصاب الإنسان أم أخطأ.. جعل التفكير فريضة قرآنية، ورفض التعليم بالتلقين، والاعـــتقاد بالتقلـــيد، واعتبر إيمان المقلد لا يجوز ولا يعفي صاحبه من المسؤولية، وجعل خير الناس من تعلم القرآن وعلمه، قال ﷺ: «**خَيْرُكُمْ مَـــنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ**» (أخرجه البخاري)، فتعلم القرآن وتعليمه هـــو وضع الإنســـان على الجادة للتحرك في تحقيق المكتسبات العلمية أو المعرفـــية.. والتعليم والتعلم تفكر وتدريب على التفكير، وهو غير الحفظ والاستظهار والتلقين، الذي يشيع في الواقع الإسلامي.

وقد تكون الإشكالية اليوم في: أن التعامل مع القرآن لم يتحقق بالمقاصد المطلوبة ويحقق العبرة والحذر، حيث بدأت علل التدين من

الأمـــم الســـابقة، التي أصيبت بالتعامل مع كتابها، تتسرب إلى الأمة الإســـلامية، أولئك الذين قال الله عنهم: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ﴾ (البقرة:٧٨) أي إلا تلاوة وترتيلاً، قال ابن تيمية رحمه الله، عن ابن عباس وقتاده، في قوله: ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ ﴾ أي غير عارفين بمعاني الكتاب، يعلمونـــها حفظاً وقراءة بلا فهم، لا يدرون مـــا فيها؛ و﴿ إِلَّآ أَمَانِيَّ ﴾ أي تلاوة، لا يعلمـــون فقـــه الكتاب، وإنمـــا يقتصـــرون على ما يتلى عليهم.. فكيف والحالة الذهنية هذه يمكن أن يحرك القرآن سواكن القلوب ورواكد العقول؟

ولـــولا قابلية الإصابة واحتمالاتها الكبيرة لما حذر الله منها، ذلك أن كثيراً من المسلمين اليوم يعتبرون مجرد حفظ القرآن وتحفيظه مدعاة لـــلخيرية الـــواردة في الحديث: «**خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ**».. وعـــلى ما في الحفظ والتحفيظ من الخير والعطاء والثواب وبناء العقل واســـتقامة اللســـان، لكن كمال الأمر لا يتحقق إلا بالتدبر والتفكر والـــتفكير، واســـترداد الفاعلية، وتأهيل الإنسان قرآنياً لبناء الحضارة الراشدة والحياة السعيدة الطيبة، والاهتداء للتي هي أقوم، فالإنسان ليس ذاكـــرة فقط، ليس شريط تسجيل (أو كاسيت)، ولذلك قال بعض الســـلف: لقـــد نزل القرآن ليُعمل به، فجعل بعض الناس من حفظه وتلاوتـــه (فقـــط) عملاً. ولابد من الاعتراف، مع شديد الأسى، أن

الكـــثير مـــن علل التدين تسربت إلى المسلمين عملياً، على مستوى الذات، وما ذلك إلا لتوفر القابليات وغياب الحذر المطلوب.

ولقـــد ســـاعد على ذلك الحال الخللُ في مناهج وطرائق التربية وآلـــيات التلقي والتعامل مع القرآن، الأمر الذي أدى للوصول إلى الحالـــة التي عبر عنها الرسول ﷺ «**بذهاب العلم**» حتى مع وجود الشهادات والإجازات والحفاظ.

ولعـــل فـــيما يذكره ابن كثير، رحمه الله، عند تفسير الآية الثالثة والستين في سورة المائدة في الجدال الذي وقع بين الرسول ﷺ وصاحبه زياد بن لبيد، مؤشراً دقيقاً على بعض ما صرنا إليه مع كتاب الله.

فقد أخرج الإمام أحمد، رحمه الله تعالى، عَنْ زِيَادِ بْنِ لَبِيد قَالَ: «ذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ شَيْئًا فَقَالَ: **وَذَاكَ عِنْدَ أَوَانِ ذَهَابِ الْعِلْمِ**، قَالَ: قُلْنَا يَـــا رَسُولَ اللَّه: وَكَيْفَ يَذْهَبُ الْعِلْمُ وَنَحْنُ نَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَنُقْرِئُهُ أَبْنَاءَنَا، وَيُقْـــرِئُهُ أَبْنَاؤُنَا أَبْنَاءَهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: **ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا ابْنَ أُمِّ لَبِـــيد، إِنْ كُنْتُ لأَرَاكَ مِنْ أَفْقَهِ رَجُلٍ بِالْمَدِينَةِ، أَوَلَيْسَ هَذِهِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى يَقْرَءُونَ التَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ لا يَنْتَفِعُونَ مِمَّا فِيهِمَا بِشَيْءٍ ؟**»

(الحديـــث أخرجه أحمد في مسنده، وأخرجه ابن ماجه في سننه عن زياد بن لبيد في كتاب الفتـــن، وأخرجه الترمذي في ســـننه في باب ما جاء في ذهاب العلم، وقال: حديث حسن غريب).

وحيـــث إن المعجـــزة القرآنية تتمتع بهذه الخصائص والصفات في التغيير للواقع والهداية التي هي أقوم، لذلك فإن استهداف القرآن وعزله عن حياة الأمـــة مستمر بوسائل شتى، منذ الجاهلية الأولى: ﴿لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا فِيهِ﴾ (فصـــلتِ:٢٦) إلى مـــا انتهت إليه الوجهة التعليمـــية في معظم بلاد المسلمين، ومنذ زمن، التي تبدو وكأنها ترتكز عـــلى إفســـاد السليقة، واستبدال اللغة، وتغيير الحرف العربي في لغات الشـــعوب المســـلمة، لإقامة الحواجز بين الأمة وتراثها المتأتي من عطاء القرآن، وإسقاط الاهتمام بعلوم اللغة العربية، مفتاح فهم القرآن، ومن ثم إفساد التذوق، وإفساد التلقي، والقضاء على أمل التغيير والارتقاء.

وقـــد تكون الإشـــكالية أن بعض معاول الهدم تتأتى من الذات قـــبل (الآخـــر)؛ لأنـــها لو جاءت واضحة من (الآخر) لحققت خيراً ﴿لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ﴾ (النور:١١)، لأنها تستنفر الأمة، وتصنع التحدي، وتمكّن من الاستجابة والمواجهة.

لقـــد كـــان من الطبيعي، والطبيعي جداً، أن يتمركز الاستهداف حول القرآن للوصول بالمسلمين إلى حالة الهجر، التي حذر الله منها على لسان الرسول ﷺ: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾ (الفرقان:٣٠)، وهذا الهجر من الجرائم الفكرية الكبيرة التي

أشار إليها القرآن في الآية التالية لهذه الآية مباشرة: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴾ (الفرقان: ٣١).

والهجر المقصود هنا ليس في عدم التلاوة والحفظ فقط، فهذا قد يكـــون قائماً ومستمراً، وإنما الهجر في غياب التدبر، وإقصاء القرآن عـــن حياة الأمة، والتوهين، وصناعة القابليات لمرور ثقافة وحضارة ومعايير (الآخر).

ولعـــل مدلـــول قولـــــه تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ (الحجر: ٩) يعني من بعض الوجوه، أن القرآن باق ومستمر ومحفوظ بحفظ الله، وأن الجهود لا بد أن تـــتركز حول التدبر والتفكر، وما يمنحه ذلك من عطاءات ثقافية وحضارية وعلمية ومعرفية تجعل من الأمة شاهدة على الناس بجدارة علم وثقافة وخلق، وليست بادعاء.

نعـــاود القـــول: بـــأن الله حذرنا من علل التدين، ومنها ممارسة كهانات رجال الدين، الذين حاولوا احتكار المعرفة والنطق باسم الله، واحـــتكار حمل الكتاب المقدس، واستغلوا الدين لتحقيق التسلط على الـــناس، قـــال تعالى: ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ

يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ (المائدة:١٣)، وقال: ﴿... وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ ۖ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُوا۟ ... ﴾ (النساء:٤١)، وقال: ﴿ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ ... ﴾ (التوبة:٣٤).

والمتأمل في أبعاد وآفاق هذه الآيات وواقع المسلمين ينتابه ذعر وخوف شديد، على الحال التي نحن عليها، وخاصة عندما يرى علل التدين تتقدم صوب الأمة المسلمة، بل صوب بعض نخبها.

إن ظهور الكهانات في الداخل الإسلامي، بمعظم مواصفاتها، لا شك أنه أصبح يشكل علة خطيرة من علل التدين، ذلك أن رجال الدين، أو حملة الكتاب المقدس، الناطقين باسم الله في تاريخ التدين، كانوا أخطر على الأمة والحضارة والدين من أعدائه.. صحيح أنه في الإسلام لا توجد طبقة رجال دين، وإنما يوجد علماء ومتخصصون في العلوم الإسلامية، وأنهم جميعاً، مهما بلغوا، يجري عليهم الخطأ والصواب وعدم العصمة، وأن المعجزة القرآنية المجردة فصلت القيمة عن الذات، وجعلت القيمة هي المعيار للذات، كائنة من كانت، فالرجال يُعْرَفون بالحق ولا يُعرف الحق بالرجال، وكل إنسان يؤخذ من كلامه ويرد إلا المعصوم ﷺ.

لكن ملامح نذر الخطر المخيفة في بعض صور التدين الإسلامي، ولـــيس في قيم الدين، أصبحت لا تخطئها العين، حيث يقترب واقع الـــتدين في بعـــض جوانبه ومؤسساته عملياً من طبقة رجال الدين والأكلـــيروس، ويبتعد عن ميدان العلم المتخصص؛ ولا نستغرب أن نرى من يعتلي المنابر ويتحدث باسم الدين من قد لا يكون له نصيب مـــن كسب العلوم الإسلامية اللهم إلا الانتساب لبعض التنظيمات الإســـلامية.. هذا الانتساب جعله يعطي نفسه حق القول في الدين والـــثقافة الإســـلامية والإعجاز العـــلمي، وقد يكون متخصصاً في شعب معرفية تمثل فروضاً كفائية المجتمع بأشد الحاجة إليها(ا) فهجره لاختصاصـــه وتحولـــه إلى غير اختصاصه يترتب عليه خلل، وآثاره خطـــيرة عـــلى جمـــيع الأصعـــدة، ليس أقلها تفريـــغ موقعه الذي غادره وإتاحة الفرصة لامتداد (الآخر)، وتعطيل عطاء موضعه الذي انتهئ إليه دون أن يفقهه.

فالـــتحريف الذي أشار إليه تعالى في قوله: ﴿ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ ﴾ في أصـــله حذف لبعض الألفاظ وإبدالها بغيرها ليتغير تبعاً لذلك المعنى والحكم والتكليف.. والنسيان الذي أشار إليه قوله تعالى: ﴿ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ﴾ إسقاط لبعض آيات وأحكام الكتاب بشكل متعمد، على الرغم من معرفته والتذكير به.

والخطـــورة تكمن اليوم في تطور التحريف من صورته الساذجة تلـــك، التي قد تكون مكشوفة، وهي حذف بعض الألفاظ أو إبدالها ليتغير تبعاً لذلك المعنى والتكليف، بحيث يتاح المجال لممارسة الابتزاز والاستغلال، إلى نوع متقدم، وهو الخروج بالمعنى عما وضع له اللفظ (التأويل)، والتفسير والتأويل الذي يمارسه فقهاء السلطان والاستبداد السياســـي أو الظـــلم الاجتماعي ليوافق المطلوب، ويشكل مسوغاً شـــرعياً لممارسات غير شرعية؛ فبدل أن نكيف سلوكنا مع القرآن نكيف آيات القرآن ونطوعها ونفسرها على هوانا لتسويغ سلوكنا! والرســـول ﷺ يقول: «**لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعاً لِمَا جِئْتُ بِهِ**» (الأربعين النووية) لا ماجئت تبعاً لهواه.

ولـــيس هذا فقط، وإنما محاولات التبعيض والحذف والانتقاص والانتقاء في مناهج التربية والتعليم والإعلام والوعظ والإرشاد، الأمر الـــذي ينتهي بنا إلى أقصى مراحل الخزي، التي حذر الله منها بقوله: ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (الـــبقرة:٨٥)، وقـــال تعالى: ﴿وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ﴾ (المائدة:٤٩).

أفلا يســـتدعي الأمر أن يُنظر في أســـباب الخزي الذي نعاني منه؟ ألا يســـتدعي الأمـــر أن ندرك أن آية: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ

وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (التوبة: ٣٤)، جاءت بعد قوله تعالى: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ... ﴾ فنأخذ حذرنا، ونعتبر بغيرنا، ونحاصر الكهانات التي تتسرب إلينا؟

فالقرآن شفاء للعلل والإصابات، وتصويب للعقل والفكر، ومعالجة لفساد الرأي والجنوح، وليس للرقية فقط، والتحول به من المدائن والأحياء إلى المقابر، والقراءة المبتدعة على الأموات.

وقد تكون المشكلة أن فساد العلماء (رجال الدين) أشد خطورة على الأمة من فساد الحكام، لذلك قال بعض الحكماء: من فسدت بطانته... كان كالغاص بالماء.. شر البلاد بلاد لا أمان بها، وشر الملوك من خافه البريء.. ذلك أن فساد بعض الحكام، الذي قد يؤدي إلى انفصال السلطان عن القرآن، جعل الأمة تاريخياً منحازة إلى القرآن، وبذلك ضمان الاستمرار؛ فالأمة أقوى من الدولة، والعقيدة أبقى من السياسة؛ أما إذا فسد العلماء أو اعتلى منابرهم من غير المؤهلين، فإلى قيادة مَنْ تنحاز الأمة؟!

إن فساد العلماء، وإفسادهم بالمال أو بالجاه أو بالسلطان أو الرئاسات - وقد قال بعض العارفين: آخر ما يخرج من قلوب الأولياء حسب الرئاسة- يعتبر من أخطر علل التدين على حياة الأمة:

﴿ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۗ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ.. ﴾ (التوبة:٣٤)، إلا أننا مطمئنون إلى أن قيم الدين المتمثلة في معجزته الخالدة تنفي الخبث كما ينفي الكير خبث الحديد.. فمعجزة الإسلام ليست متجسدة في شخص، أو جماعة، أو هيئة، أو إنسان، أو رجل، مهما كبر، وإنما هي معجزة مجردة ممتدة على الزمان والمكان والإنسان.. ومن التجريد يتأكد الخلود والقدرة على التوليد، ومن التجسيد كان التوقيت والانقضاء.. والخلود يعني تجاوز مرحلة التجسيد بالزمان والمكان والأشخاص، وامتداد المتجرد أو المجرد كقيمة حتى يوم القيامة.

ولعل من المفيد هنا أن نذكر بأن القرآن الكريم في دعوته للإنسان، وإقناعه بالحقائق المطلقة، بالنسبة لرؤيته في الكون والحياة والإنسان، انتهى به إلى الإيمان بالله واجب الوجود عقلاً «وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد» ذلك أن عطاء هذا الإيمان هو الذي يمثل الخلاص والتحرر من كل أنواع التسلط والعبودية.

لقد خاطب القرآن قوى الوعي كلها في الإنسان؛ خاطب العقل وحرضه على النظر والتفكير -كما أسلفنا- ودربه على بعض المعادلات الفكرية.

واستخدم الأدلة البرهانية، وأجاب في خطابه للإنسان عن

الأســـئلة الكـــبرى المؤرقة له، والذي لا يمتلك العقل أدوات التوصل إليها والإجابة عنها.

استخدم البرهان والاستدلال والمقايسة والمقارنة. وقد لا نكون بحاجـــة لإيـــراد الأمـــثلة، فكلمة: ﴿ فَٱعۡتَبِرُواْ ﴾، و﴿ ٱنظُرُواْ ﴾، و﴿لِّقَوۡمٍ يَعۡقِلُونَ ﴾، و﴿ لِقَوۡمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾، واعتبار إيقاظ الوعي والتفكير سبيل الإيمان، أكثر من أن تحصى في القرآن.

كمـــا استخدم القصة لتحقيق العبرة: ﴿ لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ ﴾ (يوسف:١١١).

واســـتخدم الـــتاريخ، ليلفت النظر إلى سنن السقوط والنهوض واطرادها.

وملّـــك الإنســـان حقـــائق علمية يقينية، كما ملكه القابليات والأدوات للـــنظر، وقال له: انطلق في الأرض وانظر: ﴿ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ﴾ (آل عمران:١٣٧).

واســـتخدم المـــثل، وخاطب النفس من الداخل وعرض تقلباتها المتـــنوعة، وأثـــار الخواطر وسبر أغوارها، وجيش المشاعر، وحرك العاطفـــة، ونمى الأحاسيس، كما خاطب الإنسان بالمصير، وتحدى بالعواقب والمآلات.

واســـتخدم الحوار والمجادلة، وقدم بعض الحقائق العلمية، ووضع الإنســـان على الجادة، وأعطاه دليل رحلة البحث العلمي ومفاتحه، وجعل ذلك تكليفاً ومسؤولية.

كمـــا استشـــرف له الماضي، لتشكيل ذاكرته وتحقيق التراكم المعرفي المطلوب لتنميته، قال تعالى: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ ﴾ (الشـــورى:١٣)، ﴿ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ ﴾ (الحج:٧٨).

كمـــا قـــدم رؤية للمستقبل، وأخبر عن المصير وعالم الغيب، وحكـــى قصـــة أطـــوار الحياة، التي تشكل حقائق يعيشها الإنسان ويلمسها ويشاهدها.

وعلى العموم، نستطيع أن نقول: قدم القرآن معادلات للحياة، وغطـــى جميع مساحاتها، وأجاب عن أسئلة الإنسان، وأحسن بناءه، ونـــاط به صناعة العمران وتحقيق الاستخلاف.. فالله خلق الإنسان، وأحسن خلقه وتقويمه، والإنسان أبدع أشياءه وكشف قوانين المادة التي مكنته من التقدم العلمي.

ولم يكـــن مـــا قدمه القرآن رؤية خيالية نظرية، ولا فلســـفة توهيمية هائمة، ولا معرفة باردة عاجزة عن الفعل والتحقق في واقع

الـــناس، وإنمـــا معجزته الحقيقية تمثلت في أن رؤيته وقيمه وفلسفته تجسدت في حياة الناس.

وحســـبنا أن نقـــول: بأنه لا أدل على نجاح استراتيجية القرآن وأساليبه المتميزة في الإقناع من أن الأمة المسلمة تشكلت من خلاله، وتماسكت من خلال القرآن، ونهضت من كبواتها من خلاله، وقدمت حضارة وثقافة بنضح من القرآن.

وأنه على الرغم من التقدم العلمي والمعرفي، مع ذلك لم تسجل إصابة واحدة على معرفة الوحي في القرآن والسنة، مصداقاً لقولـــه تعـــالى: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ (المســـتقبل) وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ (الماضـــي)﴾ (فصـــلت:٤٢)، لكن تتراكم الإصابات لعالم المسلمين اليوم بسبب هجرهم للقرآن.

وبعـــد، فالكـــتاب الذي نقدمه يمكن أن يعتبر محاولة لتقديم بعض الملامـــح حـــول أساليب القرآن في الإقناع، ودعوة لاستصحاب هذه الأساليب في تعاملنا مع الثقافات الوافدة في هذه الحقبة الخطيرة من حياة البشـــرية، حقبة حوار الحضارات أو صراع الحضارات والسعي لفرض أنمـــاط ثقافية باسم العولمة والنظام العالمي الجديد ، ولا أدل على اعتماد القرآن سبيل الإقناع من أن شعاره الكبير كان وما يزال: ﴿لَآ إِكْرَاهَ﴾، والتذكير بأهمية المجاهدة بالقرآن، استجابة لقوله تعالى: ﴿وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ

جِهَادًا كَبِيرًا﴾ (الفرقان:٥٢) فالجهاد الكبير هو جهاد الأفكار، وعلى الأخص في هذا العصر، الذي يعتبر الإعلام والحوار وصراع الأفكار والحضارات والمدافعة الثقافية من أمضى أسلحته وأخطرها.

ولعل الكتاب يمثل أيضاً دعوة للتبصر بمنهج القرآن والتعامل معه بأدوات صحيحة، والتحقق بوسائله، أو استراتيجيته في الإقناع وتحصيل الإيمان، ومعرفة كيفية الاستمساك به، لتجاوز العجز والفقر الثقافي وهدم التوهم، الذي يأتي عادة ثمرة للعجز والإحباط، بأن التشدد والإكراه والعنف والغلو هو الذي يقنع الإنسان ويحقق نقله من الكفر إلى الإيمان.

ذلك أن من المؤسف التوهم بأن التشدد والعنف يمكن أن يحقق المطلوب ويقنع الناس بالإسلام، على الرغم مما جاء به القرآن من استراتيجية للإقناع وآليه لبناء ثقافة وقناعة الإنسان، وتجسد ذلك في تاريخنا الثقافي في جملته، الذي يعتبر تاريخ عطاء القرآن، وأن القيمة الأساسية في ديننا التي مكنته ومكنت له: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾ (البقرة:٢٥٦)، حيث كانت قيادة الإنسان من خلال قناعاته، ومع ذلك فإن بعضنا ما يزال يعتقد أن السيف أصدق إنباء من الكتب، ويفوته قول الشاعر:

الرأي قبل شجاعة الشجعان هو أول وهي المكان الثاني

فيدخل الكثير من المعارك الغلط باسم الدين، ويهدر الكثير من الطاقة باسم الجهاد، ويخطئ اختيار الوسيلة، ويسيئ للأمور، ويفتقد الحكمة في النظر.

وقد نقول هنا: بأن الكلام عن أساليب القرآن، ودوره في تحقيق الإقـــناع، هي من المســـلمات، والأدلة على ذلك أكثر من أن يحاط بهـــا على مستوى الفكر والفعل بحيث لم تعد تدع استزادة لمستزيد، ولا أدل على ذلك مما أنتجه القرآن من إنسان وحضارة وثقافة، وإن شـــئت فقـــل: أمة، بكل مقوماتها، لكن المشكلة الأساس اليوم، التي تستدعي الكثير من النظر والبحث والمعالجة، تتمثل في السؤال الكبير: إذا كـــان القـــرآن الكريم بهذا العطاء الخالد، والقدرة الخارقة على الإقـــناع (المعجزة العقلية الثقافية الخالدة) فلماذا يعجز المسلمون أن يكونوا في مستوى قرآنهم، على مختلف الأصعدة؟ ولماذا يبقى واقعهم غير مقنع، إن لم يكن منفراً، بل وغوغائياً في بعض جوانبه؟

وكـــم يـــترجى الإنســـان ويتمنى أن الدراسات والجهود التي اجتمعت على بيان عظمـــة القرآن يتحول بعضها ليتبين أين الخلل، وكيف نعيد التواصل مع القرآن، ونفتش عن أنفسنا، وعلاج إصاباتنا في القرآن؟ ونحن نعلم جميعاً أن القرآن الكريم خالد قادر على العطاء إلى يوم الدين.

ولعـــل من أبرز خصائص القرآن أنه أطلق العقل من عقاله، وأعاد

إليه وظيفته، وارتقى به إلى آفاق من الكشف والكسب المعرفي، وأكد له أن رحلة البحث والكشف العلمي لن تتوقف ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ ﴾ (فصلت:٥٣)، إلى يوم القيامة، فالقرآن بطبيعته حمَّال أوجه، كما قال سيدنا علي رضي الله عنه، وهذا يمنح طاقة هائلة وخصبة للنظر والرؤية، ويدفع إلى التعددية والتنوع وإغناء الرحلة العلمية، ويفتح الأبواب كلها للنظر في الآفاق والأنفس؛ وكلٌّ يرتقي حسب قدراته العقلية: ﴿ فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا ﴾ (الرعد:١٧)؛ ولكلٍ من الثواب والأجر حسب كسبه المعرفي.

هذه الآفاق الفسيحة لا تحدها حدود زمانية أو مكانية أو بشرية، ويكفي أن نتأمل قوله تعالى: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴾ (الكهف:١٠٩)، ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ﴾ (لقمان:٢٧)، لندرك الأبعاد والمساحات والفضاءات، التي تنتظرنا، والتي يتحرك فيها العقل البشري من خلال عطاء معرفة الوحي، بعيداً عن الانسداد والتقييد والانحباس والمحاصرة.

ولله الأمر من قبل ومن بعد.

المقدمة

يـــتعرض العالم الإسلامي إلى عملية استلاب ثقافي وغزو فكري مـــن خلال وسائل إعلامية جعلت من العالم كوخاً صغيراً، في ظل مصـــــطلح «العولمـــة» المرتكزة إلى انتـــشار المعلومات، وتذويب الحـــدود الجغرافـــية، وتحقـــيق أكبـــر قدر من التشابه بين هويات الشعوب وخصوصياتها.

فمعظـــم الرســـائل الإعلامـــية المستقبلة في عالمنا الإسلامي من وسائل إعلام أجنبية تهدف إلى أن نفقد الثقة بقيم الإسلام ومناهجه في الحـــياة، ونستبدل بمعاييرنا ومقاييسنا معايير ومقاييس ترسم طريقاً غير الذي رسمه لنا الله سبحانه وتعالى ورسوله ﷺ... وأن نفقد الثقة في أي تحـــرك إسلامي، وذلك تحت شعار التطور والتقدم؛ فضلاً عن إثـــارة الفتن في صفوف الأمة، إقليمية أو طائفية أو شعوبية، وتفجير معارك جانبية بين أفراد الأمة، وتحريض الدول الضعيفة، بعضها ضد بعـــض... وعـــزل الأمة الإسلامية عن الأمم جميعها، وتشويه سمعة العمـــل الإســـلامي الداعي لبعث الإسلام من جديد، لينهض بالأمة ويأخذ بيدها... والإبقاء على مجتمعاتنا مجتمعات استهلاكية، تستورد من الغرب كل شيء.

هذه هي بعض أهداف الإعلام، الذي نعمل على استقباله، وهي أهـــداف اتفق حولها كثير من الباحثين في هذا المجال... غير أن الأمر الجدير بالملاحظة هو أن هذا الخطاب الإعلامي يحظي بدرجة عالية من الإقـــناع وســـط جمهور عريض من المتلقين وصلت حد القناعة، التي قـــادت إلى هروب المتلقي من وسائل إعلامه المحلية إلى وسائل إعلام أجنبية، لا تراعي قيماً أو سلوكاً فاضلاً، مما أسفر عن انحطاط أخلاقي ونمو وتزايد أنماط سلوكية جديدة غير تلك التي جاء بها الإسلام.

وقـــد استطاع الإعلام الغربي أن يصل إلى إقناع المتلقي في العالم العربي والإسلامي والاستحواذ عليه، من خلال برامجه، التي يبثها وفق استراتيجيات ثلاث، هي:

١- الاســـتراتيجية الدينامـــية النفسية، التي يخاطب من خلالها الجمهـــور، نفسياً ووجـــدانياً وعاطفياً، ســـواء كان ذلك عبر اللغة أو الصورة.

٢- الاســـتراتيجية الثقافية الاجتماعية، التي تخاطب المتلقي وفقاً لعاداته وتقاليده وثقافته.

٣- استراتيجية إنشاء المعاني، التي تهدف إلى إشاعة وغرس معان جديدة في المجتمع، قد لا تتجانس مع ماهو سائد فيه.

ومما تجدر ملاحظته أن هذه الاستراتيجيات قد استخدمها الخطاب القرآني، غير أن تخلف الأمة الإسلامية عن الركب جعلها بعيدة عن مصادرها العلمية الأصيلة.

فغاية هذا الكتاب هو الوقوف على الأساليب الإقناعية في القرآن الكريم، وكيفية الاستفادة منها في العمل الإعلامي، بهدف نشر الدعوة الإسلامية في أنحاء العالم كافة، بدلاً من أن نكون مستقبلين فقط لبرامج لا تتجانس وعقيدتنا وقيمنا.. حيث الدعوة إلى الله تعالى تعتبر من أوجب واجبات المسلم.. ووسائل نشر الدعوة اليوم متاحة أكثر من أي وقت مضى، ولكن ينقصنا الخطاب الإقناعي، الذي يجعل المتلقي في الداخل والخارج يقبل على ما نبث وننشر.

وقد جاء الكتاب في أربعة فصول، خصصنا الأول منها للحديث عن استراتيجيات الإقناع؛ فيما جاء الفصل الثاني متناولاً استمالات وأساليب الرسالة الإقناعية؛ أما الفصل الثالث فكان عن القرآن الكريم واستراتيجيات الإقناع؛ وجاء الفصل الرابع متناولاً استراتيجيات الإقناع ونشر الدعوة في العصر الحديث، بالإضافة إلى الخاتمة.

أسأل الله أن ينفع به، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم.

وبالله التوفيق.

الفصل الأول

استراتيجيات الإقناع

تتعدد النظريات التي حاولت تفسير الظاهرة الإعلامية وتأثيراتها على الجمهور.. واعتمدت في بداياتها المدخل النفسي لتفسير مكونات الظاهرة، ثم المدخل الاجتماعي، من واقع البحوث الميدانية، التي حاولت الوقوف على العملية الإعلامية وتأثير الرسالة الإعلامية على الجمهور المستهدف.. وحينما تيقن العلماء فشل كل من المدخل النفسي منفرداً وكذلك المدخل الاجتماعي منفرداً في تحليل الظاهرة تم دمج المدخلين بهدف تحديد وظائف وتأثيرات وسائل الإعلام في المجتمع، انطلاقاً من أن الوظائف أدوار عامة تؤديها وسائل الإعلام، وأن التأثيرات عبارة عن نتائج تحديد هذه الأدوار.

وتأثير الرسالة الإعلامية يبدأ بإقناع الجمهور بمشاهدتها أو الاستماع إليها أو قراءتها.. ولفكرة الإقناع الأساسية جذور قديمة، فقبل عصر الاتصالات الجماهيرية بوقت طويل، كان مصطلح «علم البيان» أو «الفصاحة» يستخدم للإشارة إلى فن استخدام اللغة

للتأثير على أحكام الآخرين وسلوكهم؛ ومن خلال الزمن الذي كان فيه الصوت البشري هو الوسيلة الوحيدة للاتصال، التي يمكن استخدامها لإقناع الناس بتغيير المعتقدات والأعمال، كانت تلك مهارة هامة بالفعل.. ومع ازدياد تطور المجتمعات، ازدهر فن الإقناع الشفهي بالكلام الفصيح.

وكان الإقناع كفن يُمارس منذ قرون، غير أن «علم الإقناع»، الذي انبثق فيما بعد هو نتاج القرن العشرين، ومقارنة بالعلوم الأخرى فهو حديث، ولذلك يرى بعض المهتمين بالأمر أن الحكم على هذا العلم يجب أن ينطلق من الإجابة عن السؤال القائل: هل أوجد العلم إغراءات مقنعة تستطيع السيطرة على السلوك الإنساني؟ وأيًا ما كانت أساليب الإقناع، فناً أو علماً، فإنها سوف تزداد فاعليتها في السيطرة على السلوك[1].

وعملية الإقناع تبدأ من الفكرة وطريقة التعبير عنها وأسلوب نقلها.. والربط بين الفكرة والتعبير عنها وكيفية نقلها، من الأمور

---

(١) ملفين ديفلر وساندرا بول، نظريات الإعلام، ترجمة كمال عبد الرؤوف، الطبعة الثانية (القاهرة: الدار الدولية للنشر والتوزيع ، ١٩٩٨م) ص٣٧٨.

الشـــائعة بـــين دارســـي الإعلام وخبرائه، وبالرجوع لآرائهم يمكن الخروج بعدة قواعد أساسية تعطي وجهة نظر سائدة[1]:

القـــاعدة الأولى: أن الكلمات عبارة عن رموز تستعمل للتعبير عن الأشياء أو الأفكار أو المفاهيم أو التجارب أو الأحاسيس.

القـــاعدة الثانية: أن الكلمة الواحدة من الممكن أن تحمل معاني كثيرة ويكون لها أكثر من استعمال.

القـــاعدة الثالـــثة: عند استخدام الرموز الكلامية أو الكلمات الرمزية كدليل لاتصالاتنا العامة أو الخاصة، فإننا غالباً ما نعتمد على الشمولية دون التفاصيل.

القـــاعدة الـــرابعة: من خلال دورة معاني الكلمات بين الناس وتـــبادلهم لـــها، يتحدد المعنى الذي يتصل بالعـــلاقة بين الرموز أو الموضـــوعات أو المفاهيم التي تعود عليها.

القـــاعدة الخامســـة: من الكلمات ما يمكن أن تكون لها معانٍ ظاهرة وأخرى باطنة.

القـــاعدة السادســـة: تميل الحقيقة إلى الثبات بينما تتجه اللغة للحركة الميكانيكية.

---

(1) ســـيد محمد ساداتي الشنقيطي، الأصول التطبيقية للإعلام الإسلامي (الرياض: دار عالم الكتب للنشر والتوزيع، ١٩٩٦م) ص ٤٣-٤٤.

فهذه هي القواعد التي تربط الفكرة بالتعبير عنها وأسلوب نقلها.

والفكـــرة مـــن حيث الاصطلاح الإعلامي هي: الشكل المحدد للتعبيـــر عن مجموعـــة من المواقف المرتبطة بشـــخصيات حقيـــقية أو اختـــيارية خلال ظروف اتصالية محددة[1]، ومن ثم فإن الإقناع في الســـياق الحـــالي يشير بصورة أساسية إلى استخدام وسائل الإعلام الجماهيريـــة لتقديم رسائل مخططة عمـــداً لاســـتنباط ســـلوكيات معيـــنة من جانب جماهير القراء أو المستمعين أو المشاهدين، ولذلك فـــإن التعديل الواقعي للسلوك هو الهدف الذي ينبغي تحقيقه باعتباره المتغيـــر التابع في النظرية التي تســـتهدف تفسيره[2].

وقد عرض الباحثون ثلاث استراتيجيات نظرية للإقناع، يخاطب كـــل مـــنها نفس المتغير التابع، وهو السلوك العلني.. وتشمل هذه الاستراتيجيات:-

١- الاستراتيجية الدينامية النفسية.

٢- الاستراتيجية الثقافية الاجتماعية.

٣- استراتيجية إنشاء المعاني.

---

(١) سيد محمد ساداتي الشنقيطي، المرجع السابق، ص٤٤.

(٢) ملفين ديلفر، نظريات الإعلام، مرجع سابق، ص٣٨٠.

وعـــلى الرغم من الصعوبة الماثلة للعيان في تحديد أثر الإعلام في السلوك، إلا أن المعلومات التي توفرها وسائل الإعلام تقوم بدور محفز في هـــذا المجال.. ويمكن القول على وجه العموم: بأن المعلومات التي يستقبلها الإنسان من وسائل الإعلام تصب في المخزون المعرفي، الذي يســـتقبل أيضـــاً معلومـــات إضافية من مصادر أخرى وعبر قنوات أخـــرى. وتـــتفاعل تلك المعلومات مع المخزون المعرفـــي المتراكم فـــتؤدي إلى تكوين صورة معرفية عقلية معدلة يتصرف الإنسان في ضوئها وبموجبها.

لذلك فإن التأثر بالرسائل الإعلامية يعتبر عاملاً من بين مجموعة عوامـــل أو مـــتغيرات تسهم جميعاً في إعادة صياغة الصورة العقلية، وهذه بدورها تدفع الإنسان لاتخاذ قرار معين والإتيان بسلوك ينسجم مـــع ذلـــك القرار[1]، وهذا قمة الإقناع، الذي يعرف بأنه استخدام الـــرموز واســـتغلالها بهدف دفع المتلقين للقيام بأعمال محددة تخدم المتلقي نفسه.

---

(1) عصـــام ســـليمان موســـى، المدخـــل في الاتصال الجماهيري، ط١ (الأردن: مكتبة الكنتاني،١٩٨٦م) ص١١٨.

الاستراتيجية الدينامية النفسية

تقوم الافتراضات الأساسية في علم النفس على المؤثر والاستجابة عند الفرد، وذلك على النحو التالي:-

١- إن المؤثـــرات تُستَقبل وتُكتَشف بواسطة الأحاسيس من المحيط الخارجي.

٢- إن خصائص الكائنات العضوية تشكل نوع الاستجابة التي ستحدث، وأخيراً سوف يتيح ذلك ظهور بعض أشكال السلوك.

وبمـــا أنـــنا لا نهتم بالمخلوق البشري وحده، فإنه يمكن تحديد العوامل المؤثرة في الآتي[1]:-

أ- مجموعة من خصائص بيولوجية بشرية أو صفات موروثة.

ب- مجموعـــة أخرى من عوامل قد تكون قائمة أساساً على البيولوجيا جزئياً والتعليم جزئياً، مثل الحالات والظروف الانفعالية.

ج- مجموعـــة مـــن عوامـــل مكتسبة أو جرى تعلمها لتنظيم التركيب الإدراكي للفرد.

ومـــن هنا ندرك أن المخلوق البشري تركيب معقد من مكونات بيولوجـــية وعاطفية وإدراكية، ومن بين هذه الأنواع الثلاثة لا بد أن

---

(١) ملفين ديفلر، نظريات الإعلام، مرجع سابق، ص٣٧٩.

تركز الاستراتيجية الدينامية النفسية أما على عوامل عاطفية أو عوامل إدراكـــية، إذ من المستحيل تعديل عامل بـــيولوجي موروث كالطول أوالعنصر أو الجنس.

فمـــن الممكن استخدام وسائل الاتصال الجماهيري لإثارة حالة انفعالـــية كالغضب أو الخوف، والتي يمكن أن تكون مهمة عندئذ في تشكيل الاستجابة.

وتحـــاول هذه الاستراتيجية ربط الإثارة الانفعالية بأشكال معينة مـــن الســـلوك؛ وفي حين أن العواطف تمثل أســـاساً واضحاً لهذه الاستراتيجية إلا أن استخدامها يتم في عدد محدود من المواقف خاصة تلـــك التي علي صلة بالجوانب الإنسانية. أما العوامل الإدراكية فهي مؤثرات على السلوك الإنساني، ومن ثم فإنه إذا كان من الممكن تغيير العوامل الإدراكية فسوف يتسنى عندئذ تغيير السلوك بكل تأكيد[1].

ومـــن هنا يمكن القول: إن جوهر الاستراتيجية الدينامية النفسية هـــو اســـتخدام رسالة إعلامية فعالة لها القدرة على تغيير الوظائف النفسية للأفراد حتى يستجيبوا لهدف القائم بالاتصال، أي أن مفتاح الإقـــناع يكمـــن في تعلم جديد من خلال معلومات يقدمها القائم

---

(١) ملفين ديفلر، المرجع السابق، ص٣٨٤.

بالاتصـــال لكـــي يتغـــيَّر البـــناء النفسي الداخلي للفرد المستهدف (الاحتياجات - المخاوف - التصرفات) مما يؤدي إلى السلوك العلني المرغوب فيه.

وتستخدم وسائل الإعلام العالمية هذه الاستراتيجية بشكل فاعل من خلال أساليب التضليل الإعلامي المرتكز إلى خمس أساطير[1] هي:-

١- أسطورة الفردية والاختيار الشخصي.

٢- أسطورة الحياد.

٣- أسطورة الطبيعة الإنسانية الثابتة.

٤- أسطورة غياب الصراع الاجتماعي.

٥- أسطورة التعددية الإعلامية.

ويمكـــن ملاحظـــة ذلك من خلال التغطية الإخبارية للأحداث والـــبرامج ذات الطـــابع الدرامي، إضافة للإعلانات.. والرسم التالي يوضح هذه الاستراتيجية.

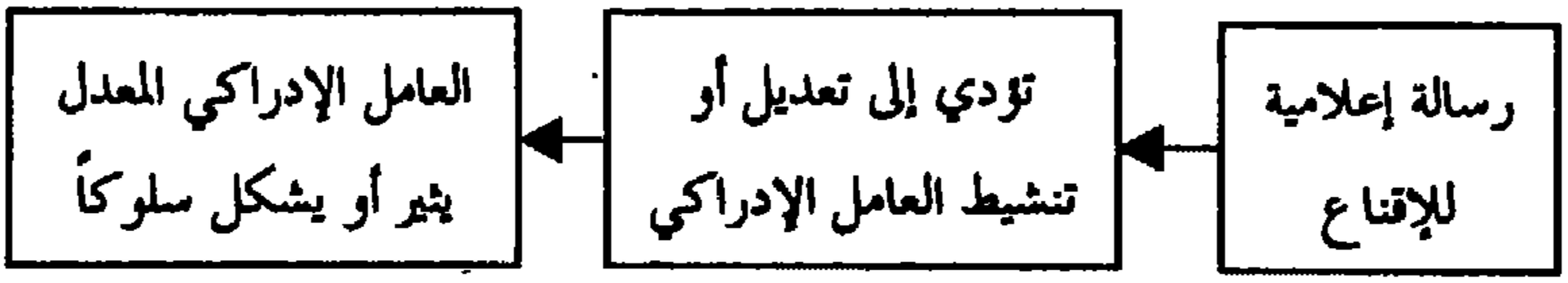

---

(١) هربـــرت شـــللير، المتلاعبون بالعقول، ترجمة عبد السلام رضوان، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، العدد ١٠٦، ١٩٨٦، ص ١٣-٣٠.

بينما تقوم الافتراضات الأساسية لعلم النفس على أن السلوك يمكن السيطرة عليه من قوى داخل الفرد، فإن العلوم الاجتماعية الأخرى تفترض أن قدراً كبيراً من السلوك الإنساني تشكله قوى من خارج الفرد[1].

ويؤكد علم دراسة المجتمعات البشرية التأثير القوي للثقافة على السلوك، بينما يهتم علم السياسة بدراسة هياكل الحكم وممارسة السلطة، أما علم الاجتماع فإنه يدرس تأثير النظام الاجتماعي على سلوك الجماعة.. وتقدم كل هذه العلوم أساساً للتنبؤ بطبيعة العمل البشري.

وهكذا لا يوجد شك كبير في أن كلاً من العوامل الاجتماعية والثقافية تشكل خطوطاً توجيهية للسلوك البشري، ولهذا السبب فإن مثل هذه العوامل الخارجية يمكن أن تهيىء أساساً للإقناع، مع افتراض أنه يمكن للفرد تحديدها أو التحكم فيها[2].

---

(١) ملفين ديفلر، مرجع سابق، ص ٣٨٦.

(٢) حسن عماد مكاوي وليلي حسين، نظريات الإعلام المعاصرة، الطبعة الأولى (القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ١٩٩٨م) ص٢٠٤.

إن مـــا تتطلـــبه استراتيجية ثقافية اجتماعية فعالة هو أن تحدد رسائل الإقناع للفرد قواعد السلوك الاجتماعي، أو المتطلبات الثقافية للعمـــل الذي يحكم الأنشطة، التي يحاول رجـــل الإعلام أن يحدثها، وإذا كانـــت التحديات موجودة فعلاً تصبح المهمة هي إعادة تحديد هذه المتطلبات.

وتستخدم الدول الأجنبية هذه الاستراتيجية لبث ثقافتها وتقاليدها في البلدان الأخرى، وهذا يعني أن الرسالة الإعلامية تعمل على تعميم ثقافـــة تلـــك الدولة وقيمها، وتقيم بالتالي لغة مشتركة بين البلدين، تســـهل للطرف الأقوى فرض سيطرته على الطرف الأضعف.. ويبدو أن العالم الإسلامي اليوم يشكل الطرف الأضعف، حيث تتم السيطرة الثقافية عليه عبر الآتي[1]:

- نشـــر قـــيم النظام الرأسمالي في الدول المسيطرة عبر البرامج المنوعة، وصولاً إلى الأفلام والتحقيقات، فضلاً عن المباريات والتحيُّز المباشر لهذا النظام في الأخبار والتعليقات.

- تصدير فلسفات عمل عبر الشركات الكبرى، وهي الوحدات التنظيمـــية الأساســـية في الاقتصاد الرأســـمالي العالمي الحديث، هذا

---

(١) فـــارس أشـــتي، الإعـــلام العالمي، مؤسساته، طريقة عمله وقضاياه، الطبعة الأولى (بيروت: دار أمواج للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٦م) ص١٠٩.

التصـــدير تقوم به وسائل الإعلام الغربية، ونعمل نحن على استقباله في الديار الإسلامية.

- تعزيـــز الاتجـــاه المهني في قيم العمل وسلوكياته، الأمر الذي يؤدي إلى فرض قيود تقاوم التغيير في النظام العام.

- نشر عادات وتقاليد المجتمعات الصناعية المتقدمة.

ويســـاعد عـــلى تدعـــيم هذه السيطرة وتثبيتها، التدفق الحر للمعلومات، وضخامة الإنتاج للشركات الإعلامية العالمية الكبرى.

وتتخذ الاستراتيجية الثقافية الاجتماعية الشكل الآتي:

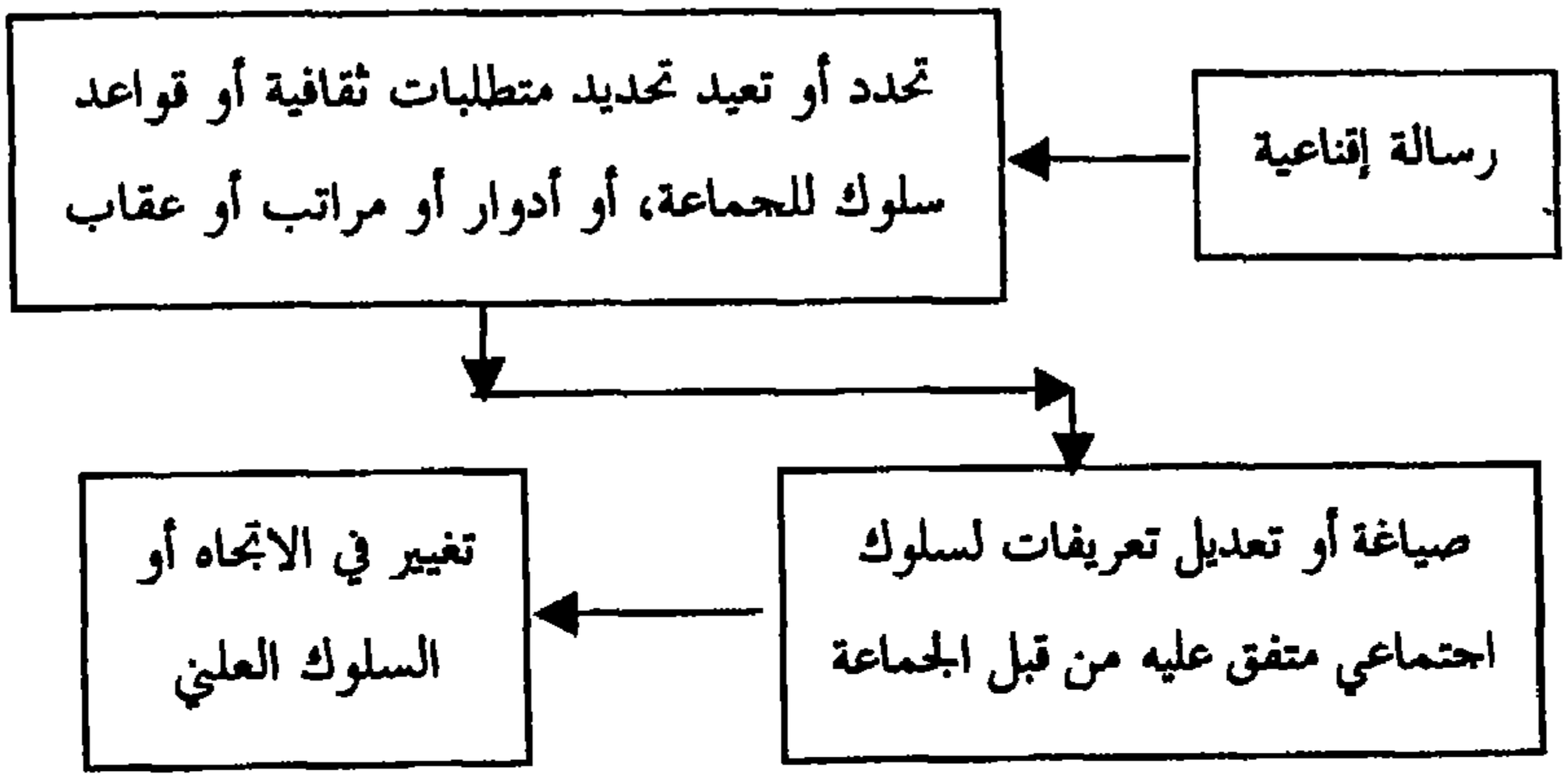

استراتيجية إنشاء المعاني

تســـتخدم وســـائل الإعلام الجماهيرية في إنشاء ودعم الصور الذهنية من خلال مصادر غير محددة للمعلومات، تعمل على صياغة أو تعديـــل المعاني التي خَبِرها الناس عن كل شيء. ويتضمن نموذج المعاني أساساً المقترحات المتشابكة التالية[1]:

١- الذاكرة عند الإنسان تتيح تطوير المعرفة.

٢- المعرفة موجودة على شكل مفاهيم، وهي تركيبات لها أسماء أو تصنيفات للمعاني التي يذكرها الأشخاص.

٣- معاني المفاهيم يمكن للشخص أن يحصل عليها إما عن طريق الاتصـــال الحسي المباشر مع النواحي المختلفة للواقع، أو من خلال التفاعل الرمزي مع الجماعات التي تستخدم اللغة.

٤- اللغة هي أساساً مجموعة من الرموز (اللفظية وغير اللفظية) تستخدم في تمييز وتسمية وتصنيف المعاني المتفق عليها.

٥- العـــادات أو الاتفاقات، توحد الروابط بين الرمز والمعنى، وبهذا فهي تتيح عملية الاتصال بين هؤلاء الذين يلتزمون بالقواعد.

---

(١) ملفين ديفلر، مرجع سابق، ص ٣٥٩.

٦- رمـــوز اللغـــة المتفق عليها، التي يستخدمها شعب معين، تشكل فهمه أو تفسيره أو سلوكه تجاه عالمه المادي والاجتماعي.

وقـــد أحصـــى بعـــض العلماء وظائف اللغة الاجتماعية فـــي الآتي[1]:

أ- اللغة تجعل للمعارف والأفكار البشرية قيماً اجتماعية، لسبب يقوم على استخدام المجتمع للغة بقصد الدلالة على أفكاره وتجاربه.

ب- اللغـــــة تحتفظ بالتراث الثقافي والتقاليد الاجتماعية جيلاً بعد جيل.

ج- اللغـــة عـــبارة عن وسيلة لتعلم الفرد، تعينه على تكييف سلوكه وضبطه حتى يلائم تقاليد المجتمع وسلوكياته.

د- اللغة تزود الفرد بأدوات التفكير، وما وصل المجتمع البشري إلى مـــا هو عليه الآن إلا من خلال التعاون الفـــكري المنظم لحياته، ولا يـــأتي هذا التعاون الفكري إلا بالتفاهم وتبادل الأفكار بين أفراد المجتمع، والوسيلة الميسورة لهذا التبادل والتفاهم هي اللغة.

---

(١) عـــبد العزيز شرف، علم الإعلام اللغوي (القاهرة: الشركة المصرية العالمية للنشر، ٢٠٠٠م) ص١٢٦.

ووفقاً لاستراتيجية إنشاء المعاني فإن وسائل الإعلام تكوِّن الصور الذهنـــية لرؤوســـنا، وتنمي معتقداتنا عن العالم الحقيقي. وتؤثر في ســـلوكنا، كمـــا أنها تنشيء وتغير وتثبت المعاني ككلمات في لغتنا، وتؤثر هذه التعديلات للمعاني في استجابتنا للموضوعات المختلفة.

وإذا افترضنا أن وسائل الإعلام يمكن أن تعدل المعاني وتؤثر على السلوك بدون قصد، فإن هناك أسساً كافية للاعتماد على استراتيجية بـــناء المعاني بغرض تغيير السلوك عن قصد، فالمعلومات التي تنقل إلى الجماهير يجب أن تكـــون فاعـــلة[1].

والشكل التالي يوضح استراتيجية إنشاء المعاني:-

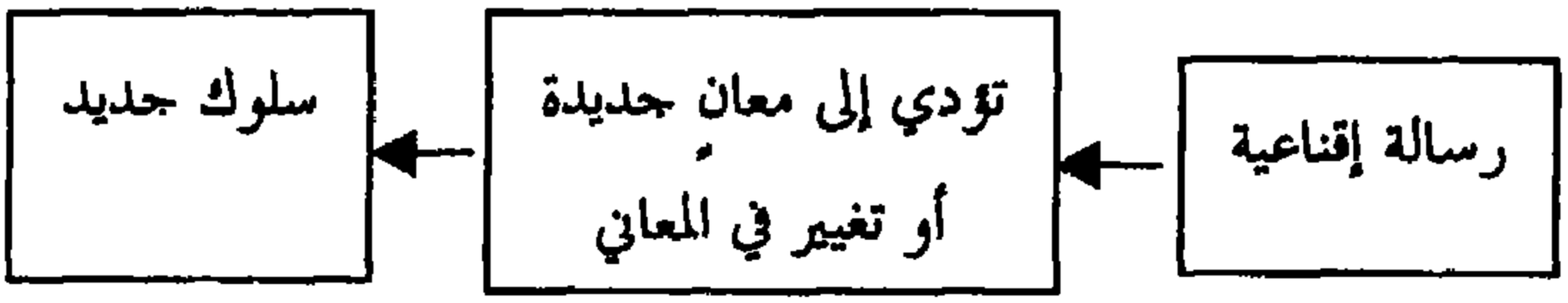

وعموماً يمكن تلخيص هذه الاستراتيجيات في الآتي:-

الاســـتراتيجية النفســـية تهـــدف إلى تعديل أو تنشيط العامل الإدراكـــي للفرد؛ بينما تهدف الاستراتيجية الثقافية الاجتماعية إلى

---

(١) حسن عماد مكاوي وليلي حسين، مرجع سابق، ص ٢٠٧.

صـــياغة أو تعديـــل التعريفات لسلوك اجتماعي متفق عليه من قبل الجماعة، أو تعيد تحديد متطلبات ثقافية أو قواعد سلوك للجماعة من خـــلال أدوار محددة أو مراتب أو عقوبات؛ فيما تهدف استراتيجية إنشاء المعاني إلى خلق معانٍ جديدة، أو تغيير معانٍ راسخة داخل أي مجتمع من المجتمعات.

وعموماً يمكن القول: إن الإقناع في أدبيات الاتصال يرتبط ببناء الرســـالة وأســـلوب تقديمها.. وعلى الرغم مما يشار إليه دائماً من تأثيرات لعناصر أخرى في عملية الاتصال، إلا أن الرسالة وخصائصها تظل هي المتغير الأساس والحاسم في تحقيق هدف الإقناع في الحصول عـــلى اســـتجابات موالية.. ويُعتبر تخطيط الرسالة الإعلامية وبناؤها البداية الناجحة لزيادة التوقعات بنجاح الرسالة العملية الإقناعية[1].

وفي الفصل القادم نتناول هذه الجوانب.

---

(1) محمـــد عـــبد الحميد، نظريات الإعلام واتجاهات التأثير، ط٢ (القاهرة: عالم الكتب، ٢٠٠٠م) ص٣٢١.

الفصل الثاني

استمالات وأساليب الإقناع

في الرسالة الاتصالية

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (الحجرات:١٣).

من أهم الأسس النظرية التي يقوم عليها علم الاتصال المعاصر، هي النظرية الرياضية للمعلومات (Mathematical theory of Information) التي تعتمد على التعارف بين الأفراد والمجتمعات والحكومات.. ومثلما أن الاتصال يعتمد على اللغة، وهو الذي يسمى بالاتصال اللفظي، فهناك اتصال غير لفظي يؤدي هو الآخر دوراً مهماً، سواء كان مصاحباً ومكملاً للنمط الأول أو مستقلاً.

ولقد تجلى ذلك في كثير من الآيات القرآنية، كما في قول الحق تبارك وتعالى مخاطباً نساء النبيﷺ: ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ

مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ (الأحزاب:٣٢).

فالخضوع هنا بمعنى إمالة الكلام وإلانته... وهو تعبير مباشر عن نمـــط الاتصال غير اللفظي، الذي يستخدم خصائص ما وراء اللغة.. والـــنهي عـــن تلـــين الكلام مرتبط بفعالية وتأثير هذه الرسالة غير اللفظـــية، حـــتى ولو تناقضت مع ظاهر الكلام، بما تثير من توقعات وآمال عند الفُسَّاق ذوي القلوب المريضة[1].

فالاتصـــال معلومات أو أوامر تبث إلى البيئة بهدف التأثير فيها، والســـيطرة عليها.. وتقوم العملية الاتصالية على مكونات أساس هي: المرســـل أو المصـــدر، ثم الرســـالة، ثـــم الوسيلة، فالمتلقي، ورجـــع الصـــدى أو التأثير، مع مراعاة أن تقسيم هذه العملية إلى مجموعة من العناصـــر يســـتهدف الشـــرح والتبسيط، ولا ينفي مدى التركيب والتعقـــيد، وعدم إمكانية الفصل بين هذه العناصر في الواقع الحقيقي، مع التأكيد أن عملية الاتصال تتسم بالاستمرارية، وتعتمد على مجموعة من العناصر المتصلة والمتداخلة والمتشابكة مع ظروف نفسية واجتماعية

---

(١) محمد كامل عبد الصمد، الإعجاز العلمي في الإسلام، الطبعة الثانية (القاهرة: الدار المصرية اللبنانية ، ١٩٩٣) ص١٦.

تؤثر في النهاية على انتقال الأفكار والمعلومات بين الأفراد والجماعات.

. والذي يهمنا من أركان العملية الاتصالية في هذا الكتاب عنصر الرسالة وماهي السمات الإقناعية لها.. فالرسالة هي مضمون السلوك الاتصـــالي، فالإنســـان يرسل ويستقبل كميات ضخمة ومتنوعة من الرســـائل، بعضها يتسم بالخصوصية مثل الحركة والإيماءة والإشارة والابتســـامة والـــنظر؛ وبعضها الآخر يتسم بالعمومية مثل الندوات والمحاضـــرات ورســـائل الصـــحف والمجـــلات والراديو والتلفزيون والســـينما؛ وبعـــض الرسائل يتم نقلها بقصد، ورسائل أخرى يتم الـــتعرض لها بالمصادفة، وكلما كان هناك تفاعل وفهم مشترك بين المرســـل والمتلقي قاد ذلك إلى فعالية الرسالة؛ وكلما استطاع المتلقي أن يستوفي المرسل لمزيد من الفهم، اكتسبت الرسالة فعالية أكبر[1].

وهـــناك عدة أمور يجب أن نأخـــذها في الاعـــتبار بالنســـبة للرسالة، منها:-

١- **لغة الرسالة:** وهي مجموعة الحروف والكلمات التي لا تقبل التقســـيم وتهـــدف إلى تكوين بناء متكامل، ومجموعة من العناصر

---

(١) حسن عماد مكاوي، ليلى حسين السيد، مرجع ســـابق، ص٤٨-٤٩.

(مفـــردات اللغة) ومجموعة من الأساليب التي تجمع تلك العناصر في تكوين له معنى.

٢- مضـــمون الرسالة: وهو مادة الرسالة التي يختارها المصدر لتعـــبر عـــن أهدافه، فهو العبارات التي تقال، والمعلومات التي تقدم، والاستنتاجات التي نخرج بها، والأحكام التي نقترحها.

٣- معالجة الرسالة: تشيـــر معالجة الرســـالة إلى القـــرارات التي يتخذها المصدر أو المرســـل بالنســـبة للطريقـــة التي ســـيقدم بهـــا المضمون، فالمصـــدر قد يختـــار معلومة معينة ويتجاهل معلومة أخـــرى، وقـــد يكرر الدليل الذي يحـــاول أن يثبت به رأيه، وقد يـــلخص ما يقـــوله فـــي البدايـــة أو فـــي النهايـــة، ويســـتطيع المصـــدر أن يذكر كل الحقائق في رسالته، وقد يترك للمتلقي مهمة تكملـــة الجوانـــب الـــتي لم يذكرها في الرسالة.. ويتخذ كل فرد القرارات التي تحقق أهدافه بأفضل شكل متاح.

وتتلخص عناصر نجاح الرسالة الإعلامية، كما يرى الدكتور محي الدين عبد الحليم، في الآتي[1]:-

---

(١) محي الدين عبد الحليم، الإعلام الإسلامي وتطبيقاته العملية، الطبعة الثانية (القاهرة: مكتبة الخانجـــي، ١٩٨٤م) ص٣٤-٣٥.

أ- يجـــب أن يـــراعى في الرســـالة أن تهم أكبر عدد ممكن من الجمـــاهير المســـتقبلة، وأن تشـــعر هذه الجماهير بحاجتها لموضوع الرسالة، وأن تعالج مشاكلهم، وأن تتناول مختلف قضاياهم.

ب- يجـــب أن تعد الرسالة بما يتناســـب والظروف الخاصـــة الـــتي تحكم كل وسيلة إعلامية، لأن الرسالة الإذاعية تتطلب شروطاً قد لا تتطلبها الرسالة الموجهة عن طريق التلفزيون، ذلك أن مستقبل الرســـالة الإذاعية لا يرى الحدث بعينه كما لا يرى المذيع الذي ينقل لـــه ذلـــك الحـــدث، وعلى العكس من ذلك فإن مستقبل الرسالة الإعـــلامـــية المنقولة بواسطة التلفزيون يشـــاهد لقطات من الحدث كمـــا يشاهد المذيع، وكذلك فإن الرسالة المطبوعة تســـمح إلى حد مـــا بالإفاضـــة في شرح تفاصيل الموضوع الذي تنقله، وكذلك فإن الرسالة الشفوية تختلف عن الرسائل التي سبق ذكرها، وهذا يتطلب مـــن المرســـل أن يكون متفهماً لطبيعة كل وسيلة، دارساً لأصول استخدامها في الزمان والمكان المناسبين.

ج- يجب مراعاة المستويات المختلفة للجمهور المستقبل للرسالة الإعلامية، فتوجه الرسالة باللغة التي يفهمها هذا الجمهور ويتجاوب مـــع معانـــيها، فالرسالة الموجهة لمستويات تعليمية عليا تختلف عن

الرســـالة الموجهـــة لمستويات شعبية قليلة الحظ من التعليم والثقافة، وكذلك الرسالة الموجهة للجمهور المحلي الداخلي تختلف عن الرسالة الموجهة للجمهور الخارجي العالمي.

د- يجـــب ألا تأتي الرسالة متناقضة مع عادات المجتمع وتقاليده، ولكـــن يجب أن تأخذ الرسالة في اعتبارها اهتمامات الجمهور الذي توجـــه إلـــيه، ذلك أن الفرد لا يعرض نفسه إلا للموضوعات التي يرغـــب في التعرض إليها فعلاً، وهو ما يســـمى بالتعرض الانتقائي، كما أنه لا يدرك هذه الموضوعات إلا بالشكل الذي يود إدراكها به، وهو ما يسمى بالإدراك الانتقائي، وأن معظمنا يتذكر المواد الإعلامية الـــتي تؤيـــد وجهة نظره ونحاول أن نتجاهل المعـــلومات المخالفة لآرائنا، وهو ما يسمى بالحفظ أو التذكر الانتقائي.

هـــ- يجب أن تتميز الرسالة الإعلامية بالبساطة والوضوح، وأن تســـــتبعد مـــنها العبارات والألفاظ المعقدة والغامضة، لأن الإعلام يعـــتمد عـــلى الكـــلام الواضـــح البســـيط، أياً كان نوع الرسالة الإعلامية الموجهة؛ وليست الرسالة الإعلامية الناجحة هي التي تصاغ عـــباراتها بمهـــارة أو طلاقة لغوية فائقة ثم تترك عالم الواقع وتحلق في أجواء الخيال.

الاستمالات المستخدمة في الرسالة الإقناعية

يرتبط محتوى الرسالة عادة بالقدرة على الإقناع، فقد كان أفلاطون يعرف البلاغة بأنها «كسب عقول الناس بالكلمات». وكان أرسطو يرى أن البلاغة هي: «القدرة على كشف جميع السبل الممكنة للإقناع في كل حالة بعينها».

ويتحدث العلماء عن ثلاثة أنواع أساسية من الاستمالات التي توجد بالرسالة الإقناعية هي: الاستمالات العاطفية، الاستمالات العقلانية، واستمالات التخويف.. وفيما يلي استعراض لكل منها، مع إيراد بعض النماذج من القرآن الكريم[1].

١- الاستمالات العاطفية:

تستهدف الاستمالات العاطفية التأثير على وجدان المتلقي وانفعالاته، وإثارة حاجاته النفسية والاجتماعية، ومخاطبة حواسه

(١) لحصر الاستمالات والأساليب المستخدمة في الرسالة الإقناعية تم الرجوع إلى المراجع الآتية:

- حسن عماد مكاوي وليلى حسين، نظريات الإعلام المعاصر، مرجع سابق، ص٣٢.
- محمد عبد الحميد، نظريات الإعلام واتجاهات التأثير، مرجع سابق، ص٣٢١-٣٣٤.
- عصام سليمان، المدخل في الاتصال الجماهيري، مرجع سابق، ص٢١٧.

بما يحقق أهداف القائم بالاتصال.. وتعتمد الاستمالات العاطفية على ما يلي:-

أ- **استخدام الشعارات والرموز**، وتعتمد في ذلك على خاصية التبسيط لعملية التفكير واختزال مراحـــله المختلفة عن طريق إطلاق حكم نهائي في شكل مبسط، ومن أمثلة ذلك في القرآن الكريم قول الحـــق عـــز وجل: ﴿ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ﴾ (البـــقرة:١٨٩)، فالشعارات هي عبارات يطلقها القائم بالاتصال لتلخص هدفه في صيغة واحدة ومؤثرة بشكل يسهل حفظها وترديدها، أما الرموز فتشير إلى تنظيم التجارب الإنسانية في مجموعـــة مـــن الرموز التي تلغي صناعياً التباين بين الأفراد في عالم الواقـــع، ويصـــبح التفاهم ممكناً على أساس هذه الرموز العامة التي حلـــت محل التجارب الفردية وأصبح لها مدلول عام متفق عليه بين أفراد الجماعة.

ب- **اســـتخدام الأســـاليب اللغوية**، مثل التشبيه والاستعارة والكـــناية أوالاســـتفهام، الذي يخرج عن كونه استفهاماً حقيقياً إلى معـــنى آخر مجازي كالتوبيخ والتبكيت، وكل الأساليب البلاغية التي مـــن شـــأنها تقريب وتجسيد وجهة نظر القائم بالاتصال، ومن أمثلة

ذلـــك في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ (مريم:٤)، وقولـــــه تعالى: ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةًۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ﴾ (البقرة: ١٣٨)، وقوله تعالى: ﴿ أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴾ (الطـــور:١٥)، وقولـــه تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴾ (الطـــور:٣٠)، وقوله تعالى: ﴿ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم بِهَٰذَآ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴾ (الطور:٣٢).

ج- **دلالات الألفـــاظ**، وهـــي مـــن أساليب تحريف الكلم عن مواضعه اعتماداً على الألفاظ المستخدمة، ويمكن تطبيق ذلك باستخدام كلمة أو صفة أو فعل، تكون محملة بمشاعر معينة قد تكون سلبية تضفي نوعـــاً مـــن الرفض على الاسم أو الفاعل المصاحب لها مثل استخدام صـــفات (التخريبية) أو أفعال مثل: ادعى، زعم، اعترف؛ وقد تكون إيجابية مثل: المعتدل، النشط.. ويلاحظ أن بعض هذه الألفاظ في أصلها اللغـــوي محايدة كلفظ (ادعى) إلا أن معيار الحكم هو ما جرى العرف عليه في استخدام اللفظ، وهو ما يطلق عليه علماء اللغة: (الحقيقة العرفية للفـــظ).. كذلك يمكن استبدال الكلمة بكلمة أخرى لها دلالة معنوية،

ويقصد بالدلالة المعنوية انتقال الذهن من مفهوم اللفظ إلى ما يلازمه، ومن أمثلة ذلك في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ ﴾ (الأنعام:١٣٦)، وقوله تعالى: ﴿ وَقِيلَ ٱدْعُوا شُرَكَآءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا ٱلْعَذَابَ ۚ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ ﴾ (القصص:٦٤)، ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ (القصص:٧٤)، ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا أَن لَّن يُبْعَثُوا ۚ ﴾ (التغابن:٧).

د- **صيغ أفعل التفضيل**، وذلك لاستخدامها لترجيح فكرة معينة أو مفهوم ما، وفي القرآن الكريم قول الحق عز وجل: ﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴾ (يوسف:٣٩)، وقوله تعالى: ﴿ أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ أَهْلَكْنَٰهُمْ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴾ (الدخان:٣٧)، وقوله تعالى: ﴿ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ (الزخرف:٣٢)، وقوله تعالى: ﴿ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ۗ ﴾ (البقرة:١٤٠).

هـ- انتقاء ما يدل على أن الرأي أو الحكم حقيقة، وذلك على الرغم من عدم الاتفاق والإجماع عليه، ومن أمثلة ذلك في

القـــــرآن الكـــــريم: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (الـــــبقرة: ٦٢)، فالنصـــارى والـــيهود المذكورون في هذه الآية هم من آمن بموسى وعيسى قبل بعثة سيدنا محمد ﷺ، أما بعد البعثة فهم كفرة لا ينطبق علـــيهم هـــذا الرأي أو الحكم الرباني، ومن ذلك الآية (٤٧) سورة المـــائدة، حيث يقول الحق عز وجل: ﴿ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾، وهـــذا في حـــكم الزمان قبل أن ينسخ الإنجيل بالقرآن، أما وقد استبانت الأمور وتمايزت الصفوف بعد نزول القرآن فيجب أن يرجع الجميع إلى حكم كتاب الله الذي أنزله على سيدنا محمـــد ﷺ.

و- **الاســـتشـــهاد بالمصادر**، وهي تستغل حب التشبه بمن هو أكثر أو أعلى سلطة أو من يحظى بمصداقية عالية من جانب المتلقي. وفي القـــرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴾ (الأنبياء: ٥٨)، ﴿قَالَ بَل فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴾ (الأنبياء:٦٣).

ز- **معـــاني التوكـــيد**، وهي العبارات والألفاظ التي تستخدم لتشـــديد المعنى.. مثل قوله تعالى: ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (آل عمـــران:١٨٨)، وقوله تعالى:﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ (التوبة:٨٠).

ح- **اســـتخدام غرَيـــزة القطيع**، ويقصد بها، استغلال الضغط الـــذي يجعلـــنا نتوافق مع الجماعة المرجعية التي ننتمي إليها، ويطلق عليها العدوى النفسية، ومن أمثلة ذلك في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ (يونس:٩٠).

وقولـــه تعالى:﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾ (العنكـــبوت:٦٥)، وقولـــه تعالى: ﴿ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۖ فَلَمَّا

نَجَّىٰهُم إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴾ (لقمان:٣٢).

٢- الاستمالات العقلانية:

وهي تعتمد على مخاطبة عقل المتلقي، وتقديم الحجج والشواهد المنطقية وتفنيد الآراء المضادة بعد مناقشتها وإظهار جوانبها المختلفة.. وتستخدم في ذلك:-

أ- الاستشهاد بالمعلومات والأحداث الواقعية.

ب- تقديم الأرقام والإحصاءات.

ج- بناء النتائج على المقدمات.

د- تفنيد وجهة النظر الأخرى.

وهناك أمثلة عديدة من الآيات القرآنية التي استخدمت هذا النوع من الاستمالات، من ذلك قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ (البقرة: ٢٥٨)؛ وقوله تعالى: ﴿ أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ

هَـٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (البقرة:٢٥٩).

٣- استمالات الخوف:

تشير هذه الاستمالة إلى النتائج غير المرغوبة التي تترتب على عدم اعتـــناق المتلقي لتوْصيات القائم بالاتصال.. وتؤدي إلى جعل المتلقي يستجيب للرسالة في حالتين:

الأولى: شـــدة الإثارة العاطفية، التي تشكل حافزاً لدى المتلقي للاستجابة لمحتوى الرسالة.

الثانـــية: توقعات الفرد بإمكان تجنب الأخطار وبالتالي تقليل التوتر العاطفي عند الاستجابة لمحتوى الرسالة.

وتوجـــد ثلاثـــة عوامل تؤثر على شدة الإثارة العاطفية في هذا النوع من الاستمالات، هي:-

أ- محـــتوى الرســـالة: إذ يجب أن يكون لمحتوى الرسالة معنى عند المتلقي حتى يستجيب للهدف منها ويحدث التوتر العاطفي، فالناس يميلون إلى تجاهل التهديدات، حتى تظهر علامات واضحة على خطورتها.

ب- **مصـــدر الرســـالة:** إذا نظـــر المتلقي إلى القائم بالاتصال باعتـــباره غير ملم بالمعلومات الكافية فسوف يرفض توقعاته، وبهذا تفشل الرسالة في إثارة ردود فعل عاطفية؛ وإذا شعر المتلقي أن القَائم بالاتصال يبالغ في التخويف فإنه قد يتجاهل ما يقوله.

ج- **خبرات الاتصال السابقة للمتلقي:** حيـــث أشارت بعض الدراســـات إلى أنه حينما يتعرض بعض الناس لرسائل تثير (الخوف) والـــتوتر، يقـــل جانب الخوف لديهم، إذا سبق أن تعرضوا لرسائل مشـــابهة، فالتعرض السابق للمعلومات يؤدي إلى نوع من التحصين العاطفي، ذلك أن عنصر المفاجأة يزيد من درجة الإثارة العاطفية التي تحدثها الأنباء السيئة.

ويقـــوم استخدام استمالات التخويف أو التهديد على الفروض الآتية:-

أ- اســـتخدام هـــذه الاســـتمالات يؤدي إلى إحســـاس الفرد بالتوتر، نتيجة لزيادة الإحساس بالخوف أو الشعور بالعزلة، التي تركز عليها رموز الرسالة.

ب- الإحســـاس بالتوتر - في هذه الحالة - يشكل حافزاً للفرد على تجنب الخطر أو النتائج غير المرغوبة.

ج- سوف يستجيب الفرد، بتأثير الحافز، إلى أي توصيات تجنبه هذا الخطر أو النتائج غير المرغوبة.

د- مـــن خلال التجريب والتدعيم، تتحول الاستجابات من ثمّ إلى عادات سلوكية تتفق مع أهداف القائم بالاتصال.

ويمكن استخلاص بعض الفروض الخاصة ببناء الرسالة، التي تشير إلى التهديد أو التخويف من مثل:-

أ- اقـــتراب التهديد من المتلقي شخصياً يزيد من حالة التوتر، وهذا مما يضفي على التهديد معنىً ذاتياً.

ب- يرتبط التهديد بالاقتراب الزماني، فاحتمال الحدوث لايعطي أثـــراً واضـــحاً مثل الحدوث الفعلي، وكذلك لايعطي المتلقي اهتماماً بالأحداث البعيدة الحدوث، فالفرد يميل إلى تجاهل التهديد أو التخويف حتى تظهر مؤشرات واضحة وقريبة بالخطر الذي يعبر عنه التهديد.

ج- هـــناك علاقة ارتباطية عكسية بين قدر التهديد والاستجابة إلى توصيات الرسالة، لأن المبالغة في التهديد قد تثيـــر التحدي لدى المتلقي، أو تجعله يتجنب الرسائل التي تشير الى هذا التهديد.

د- وضـــوح الرسالة يؤدي الى إمكانية تنفيذ توصياتها، وهذا يخـــتلف عن وضوح وظهور الخطر أو غموضه، لأن غموض الخطر وعدم معرفة المتلقي بأبعاده يزيد من توتره أكثر من التهديد المعروف.

هـــــ- كـــلما كانـــت التوصـــيات في حدود قدرات المتلقي وإمكانياته كلما كان من السهل تنفيذها والالتزام بها.

وفي القرآن الكريم نجد أمثلة كثيرة على ذلك، منها:

- الآيـــات الـــتي وردت بشـــأن الربا ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ (البقرة:٢٧٥).

- ومنها آيات سورة المائدة، قال تعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (المائدة:٣٨) وقولـــه تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْتُلُواْ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۗ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًۢا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّٰرَةٌ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦ ۗ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَ ۚ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾ (المائدة: ٩٥)، وقوله تعالى: ﴿ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (المائدة: ٩٨).

وغـــير ذلك من الآيات الكثيـــرة، التي اســـتخدمت هذا النوع مـــن الاســـتمالات لبيان معاني محددة وأحكاماً ذات صلة بالقضايا الدينية والدنيوية.

أساليب الإقناع المستخدمة في الرسالة الاتصالية

تتـــنوع وتتعدد الأساليب المستخدمة في الرسالة لإقناع المتلقي بمضمونها؛ فأساليب عرض المحتوى تؤثر على التعليم والإقناع، وهناك العديـــد مـــن الاعتـــبارات التي تؤدي الى اختـــيار أســـلوب معين لتقديـــم النص الإعلامي، واســـتخدام نوع معين من الاستمالات، بمـــا يتوافق وطبيعة الموضوع وخصائص جمهور المتلقين.. ومن تلك الأساليب الإقناعية:

١- وضوح الأهداف مقابل استنتاجها ضمنياً:

الإقـــناع يكون أكثر فعالية عند ذكر أهداف الرسالة أو نتائجها بوضوح، لذلك يجب أن لا نترك للجمهور عبء استخلاص النتائج بنفســـه.. وقد أسفرت نتائج الدراسات والبحوث التي أجريت على الجمهـــور، فـــيما يـــتعلق بتغيير الاتجاهات، عن أن الذين غيـــروا اتجاهاتهم بما يتوافـــق وأهـــداف الرســـالة بلغت الضـــعف حينما قـــدم المتحدث نتائجه بشكل محدد، وذلك بالمقارنة إلى نسبة الذين غـــيروا اتجاهـــاتهم بعـــد أن تعرضوا لرسالة ترك المتحدثُ نتائجها يستخلصها الجمهور.

وفي الواقع فإن القرآن جاءت آياته كلها واضحة الأهداف.

ومما يجدر ذكره أن هذه الأساليب والاعتبارات قد تذهب إلى أبعد من ذلك، حيث تتجاوز مستوى الوضوح مقابل الضمنية، فهي أيضاً تتوقف على ظروف أخرى كثيرة مثل:

أ- مستوى تعليم وذكاء المتلقي.

ب- درجة أهمية الموضوع أو ارتباطه بالمتلقي.

ج- نوع القائم بالاتصال.

فالملاحظ أنه كلما زاد ذكاء المتلقي وتعليمه كان من الأفضل ترك الهدف ضمنيا.. وإذا كان الموضوع مهما للمتلقي فسوف تتوفر لديه معلومات كثيرة عنه، الأمر الذي يجعله يدقق ويتفحص رسائل القائم بالاتصال وأهدافه، وبالتالي يصبح تركه يستخلص النتائج بمعرفته أكثر فعالية، كذلك إذا كان القائم بالاتصال محل شكوك المتلقي فإن تأثيره سوف يقل إذا قدم الرسالة بشكل محدد، ويمكن ملاحظة ذلك في قصة سيدنا موسى عليه السلام مع العبد الصالح في الآيات من (٦٦) – (٨٠) من سورة الكهف.

٢- تقديم الأدلة والشواهد:-

يقـــول الله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾ (الغاشية: ١٧—٢٠).

يســـعى معظـــم القائمين بالاتصال إلى دعم رسائلهم الإقناعية بـــتقديم أدلة أو عبارات تتضمن إما معلومات واقعية أو آراء منسوبة إلى مصـــادر أخـــرى غـــير القائم بالاتصال.. ويمكن تقديم بعض التعميمات حول تأثير تقديم الأدلة والشواهد، منها:

أ- يرتـــبط استخدام الأدلة والشواهد في الرسالة بإدراك المتلقي لمصـــداقية المصـــدر، فكـــلما زادت مصداقية المصدر قلّت الحاجة لمعلومات تؤيد ما يقوله.

ب- تحتاج بعض الموضوعات أدلة أكثر من غيرها، خاصة تلك الموضوعات التي لا ترتبط بالخبرات السابقة للمتلقي.

ج- يقلل التقديم الضعيف للرسالة من وقع وتأثير أي دليل.

د- تقـــديم الأدلـــة يكون وقعه أكبر على الجماهير الذكية، أي أولئك الذين يتوقعون إثباتاً للأفكار المعروضة عليهم.

هـــــ- يــتوقف تأثير الدليل على ما إذا كان المتلقون يعتبرونه صحيحاً أو غير صحيح.

٣- عــرض جانــب واحد من الموضوع مقابل عرض الجانبين، المؤيد والمعارض:

وجد بعض الباحثين أن تقديــم الحجــج المؤيــدة والمعارضة في الموضــوع الواحــــد أكثر فعالية وأقدر على التعبير لدى الفرد المتعــلم، وحــيــن يكون الجمهور متردداً فإن تقديــم الجانبيــن يكون أقوى أثراً.

يقول الله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾

(البقرة: ٣٠-٣٣).

ولذلـــك نجـــد أن الآيـــة رقم (٣٤) في سورة البقرة تؤكد أن الملائكة قد وصلوا إلى قناعة بالطرح الرباني، فحينما أمرهم بالسجود لآدم علـــيه السلام أقبلوا دون تردد، قال تعالي : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ (البقرة:٣٤).

وفي المقابل يكون التركيز على جانب واحد من الموضوع أكثر فعالـــية عـــلى تغيـــير آراء الأفراد الأقل تعليماً، أو الأفراد المؤيدين لوجهة النظر المعروضة في الرسالة، حيث يصبح تأثير الرسالة في هذه الحالة تدعيماً.

٤- ترتيب الحجج الإقناعية داخل الرسالة:-

يشار إلى الرسالة التي تحتجز أقوى وأهم الحجج إلى النهاية بأنها تســـتخدم في ذلـــك ترتيب الذروة، أو تأثير النهاية، أما الرسالة التي تقدم الحجج الأقوى في البداية فهي تتبع تأثير عكس الذروة أو تأثير الـــبداية.. ولا بد من الإشارة هنا إلى أنه ليس هناك قاعدة أو قانون عـــام لترتيب الحجج في عملية الإقناع، فقد ذهبت بعض الدراسات إلى أن الحجج التي تُقدم في البداية تأثيرها أقوى من الحجج التي تقدم في النهاية، بينما أظهرت دراسات أخرى نتائج عكس ذلك.. ويرى

بعـــض الباحـــثين أن تأجـــيل الحجج الأقوى حتى النهاية أفضل من تقديمهـــا في البداية، ولنا أن نلاحظ ترتيب الحجج في القرآن الكريم، كمـــا في قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام مع النمرود، حيث جاءت الحجة القوية في نهاية الأمر: ﴿ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِى ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (البقرة: ٢٥٨).

٥- اســـتخدام الاتجاهـــات والاحتياجات الموجودة لدى الجماهير:

يـــرى عـــلماء الاجتماع أن الجمهور يكون أكثر استعداداً لتدعـــيم احتياجاته الموجودة عن طريق تطويره لاحتياجات جديدة عليه تـــماماً؛ بمعنى أن الرسالة تكون أكثر فعالية حينما تجعل الرأي أو الســـلوك الذي تعرضه يبدو للجمهور على أنه وســـيلة لتحقيق احتـــياجاته الموجودة فعلاً، وفي القرآن الكريم يقول تعالى: ﴿إِذۡ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ هَلۡ يَسۡتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيۡنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ قَالَ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُواْ نُرِيدُ أَن نَّأۡكُلَ مِنۡهَا وَتَطۡمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعۡلَمَ أَن قَدۡ صَدَقۡتَنَا وَنَكُونَ عَلَيۡهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ (المائدة: ١١٢-١١٣).

٦- التكرار:

يرى عدد من علماء الاتصال أن تكرار الرسالة من العوامل التي تســـاعد عـــلى الإقـــناع؛ ذلك أن التكرار يؤدي إلى تذكير المتلقي باســـتمرار بـــالهدف مـــن الرسالة، ويثير في الوقت نفسه احتياجاته ورغـــباته. وفي القرآن الكريم نجد الكثير من الآيات والقصص قد تم تكرارها، وخير مثال لذلك قصة سيدنا موسى عليه السلام.

فهذه هي استمالات وأساليب الإقناع التي اتفق حولها كثير من الباحـــثين في هذا المجال، ويوصي عدد منهم بضرورة اختيار الرموز اللغويـــة الواضحة والمفهومة والمألوفة، والبعد عن الألفاظ أو الرموز المهجورة، مع مراعاة خصائص الجمهور فيما يتعلق باستخدام قواعد الـــنحو والصرف، والأساليب البلاغية، وهذا كله مما يؤثر على يسر القـــراءة وســـهولة التعرض للوسيلة الإعلامية، ولكن مما يثير الجدل شـــيوع الاعـــتقاد بأن اللغة الانفعالية تعتبر أحد الأساليب المهمة في الإقـــناع، وبالـــتالي يعتـــبر مســـتوى اللغة الانفعالية أحد الخيارات المطروحة في الرسائل الإقناعية.

الفصل الثالث

القرآن الكريم وأساليب الإقناع

الله تعـــالى هو المصدر الأول لكل علـــم: ﴿ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ ﴾ (الرعد:١٦) ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ﴾ (الصافات:٩٦) ، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ (البقرة:٢٥٥)،﴿ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٖ مَّعۡلُومٖ﴾ (الحجـــرات:٢١)، ﴿وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۙ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴾ (الـــــنحل:٧٨)، ﴿ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ﴾ (العـــلق:٥)، ﴿ مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖ ﴾ (الأنعام:٣٨).

ولأن الله ســـبحانه وتعـــالى لا تدركه الأبصار، ولا نتلقى منه مباشرة، فقد جعل من دونه مصدرين رئيسين يستقي منهما الإنسان معرفته هما: القرآن والكون.

إن المحـــتوى المعرفي لأي علم من العلوم يعتمد اعتماداً كلياً على مصـــدر تلك المعرفة، ويضطرد معها اطراداً مباشراً؛ بمعنى أن المصدر إذا كان مدركاً لكل صغيرة وكبيرة وملماً بكل جزئية في علم ما من

العلوم، فإنه يترتب على ذلك علو قدر تلك المعرفة المستقاة من ذلك المصدر.. وبما أن مصدر المعرفة في المنهجية الإسلامية هو الله سبحانه وتعالى، الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، والذي لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كـــتاب مبين، فإن من إيجابيات هذا المصدر المباشر أن المتلقي لـــلمعرفة يشعر بأمن واطمئنان في أنه سيجد الإجابة من هذا المصدر عن كل سؤال يخطر على باله، كالظمآن الذي يبحث عن قطرة ماء فيجد أمامه نهراً عذباً ليرتوي منه[1].

فالقـــرآن الكريـــم، وهو كلام الله تعالى، المنـــزل على سيدنا محمـــد ﷺ، بلفظـــه ومعناه، المتعبد بتلاوته، قد احتفى حفاوة كبيرة بالعـــلم والعـــلماء، وأشاد بهما، ورفع من أقدارهما، بل عد العلم من صفات الكمال لله، قال تعالى: ﴿نَبَّأَنِيَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ (التحريم:٣)، وقال تعـــالى: ﴿ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ (طه:٩٨).

وبعد أن منَّ الحق عز وجل على سيدنا آدم، أبي البشرية، بنعمة الإيجـــاد مـــن العـــدم، منَّ عليه بنعمة العلم: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾ (البقرة:٣١)، وبه فضّله.. وكذلك منَّ الله تعالى على الأنبياء

---

(١) مبارك محمد علي مجذوب، خلق الإنسان في القرآن (مدني، السودان: جامعة الجزيرة، معهد إسلامية المعرفة، دار المركز الإسلامي الأفريقي للطباعة، ١٩٩٤م) ص٢.

والمرسلين بنعمة العلم والحكمة: ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾ (يوسف:٢٢)، وقال عن داود وابنه سليمان عليهما السلام: ﴿ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾ (الأنبياء:٧٩)، واعتبر العلماءَ أشد الناس خشية لله: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ﴾ (فاطر:٢٨)، وجعل معجزة رسالته الخاتمة كتاباً خالداً، هو كتاب القرآن، وأول كلمة فيه: ﴿ ٱقْرَأْ ﴾، وأقسم بأداة الكتابة: ﴿ نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾ (القلم:١)، وهو يدعو عباد الله للعلم والسعي إليه وتحصيله بالنظر في آفاق الكون والأنفس: ﴿ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ (يونس:١٠١)، ﴿ وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ (الذاريات: ٢٠-٢١)، ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾ (الغاشية:١٧-٢٠)، وعد المقصرين فيه لا يستون مع الذين يعلمون... وجعله سبيلاً إلى معرفة الخالق حق معرفته، ومن هنا أحاط القرآن بقضايا العلم، وكانت علومه كافية للناس والحياة[1].

---

(١) حسن عيسى عبد الظاهر وآخرون، بحوث في الثقافة الإسلامية، ط١ (الدوحة: دار الحكمة للطباعة والنشر، ١٩٩٣م) ص١٤١.

والقـــرآن الكريم كمصدر للمعرفة تجلى إعجازه في أمور كثيرة، إعجـــاز في نظمه وبلاغـــته وإعجاز في قصـــصه وأخباره؛ إعجاز فـــيما انطـــوى عليه من الإخبار بالغيبيات التي لم تكن معهودة عند التـــنـــزيل؛ وإعجاز فيما أشار إليه من حقائق مثبتة في أرجاء الكون الفسيح تجلت وتبدت في عصرنا الراهن بعد تقـــدم العلم وكشوفاته في الأنفـــس والآفاق.. كيف لا يكون القرآن كذلك وهو منـــزل من عند الله تعالى؟

يقـــول الإمـــام السيوطي: إن كتاب الله تعالى اشتمل على كل شيء، أما أنواع العلوم فليس منها باب ولا مسألة هي أصل، إلا وفي القـــرآن شرح أفعاله وصفاته، وهذه العلوم لا نهاية لها، وفي القرآن إشارة إلى مجامعـــها[1].

بـــل إن كل ما أشكل فهمه على النظار واختلفت فيه الخلائق، في النظريات والمعقولات، في القرآن رموزٌ إليه ودلالات عليه، يختص أهل الفهم بإدراكها.. وقد ظل القرآن منذ نزوله على النبي ﷺ، وإلى يومنا هذا معجزة خالدة، نستمد منها كل يوم الدروس والعبر إلى أن

---

(١) الإمام الغزالي، إحياء علوم الدين (بيروت: دار الآفاق للطباعة والنشر) ١٣٥/٣.

يــرث الله الأرض ومــن عليها، فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن الولــيد بن المغيرة جاء إلى النبي ﷺ، فقرأ عليه القرآن، فكأنه رق له، فــبلغ ذلــك أبا جهل، فأتاه فقال له: « ياعم إن قومك يريدون أن يجمعــوا لــك مالاً ليعطونه، فإنك أتيت محمداً لتعرض ما قبله، قال: علمت قريش أني من أكثرهما مالاً، قال: فقل فيه قولاً يبلغ قومك أنك منكر له وكاره، قال: وماذا أقول؟؟ فو الله ما فيكم رجل أعلم بالشعر مــني، لا برجــزة ولا بقصيده، ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه الذي يقولــه شيئاً من هذا، والله إن لقولــه الذي يقول لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه، مغدق أسفله، وإنه يعلو وما يعلى عليه، وإنه ليحطم ما تحته، قال: والله لا يرضى قومك حتى تقول فيه ...، فقال: فدعــني حتى أفكر، فلما فكر قال: هذا سحر يؤثر بأثره عن غيره[1] فنــزلت الآيات: ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ (المدثر: ١-٢٥) »[2].

وقد ظل القرآن يؤثر على سامعيه منذ القدم، ولعل قصة الوليد بن المغــيرة سابقة الذكر تدل على ذلك.. وحديثاً، فقد استعملت أجهزة المراقــبة الإلكترونــية المــزودة بالكمبــيوتر لقياس الآثار والتغييرات

---

(١) ابــن هشام، السنة النبوية، تحقيق مصطفى السقا وآخرون، ط١ (الرياض: دار الفني للنشر والتوزيع، ١٩٩٩م) ٢٨٣/١.
(٢) أخرجه الحاكم وصححه، والبيهقي في الدلائل.

الفسيولوجية عند عدد من المتطوعين الأصحاء أثناء استماعهم لتلاوات قرآنـــية... وقـــد تم تسجيل وقياس أثر القرآن عند عدد من المسلمين المـــتحدثين بالعربـــية.. وبالنسبة لغير المتحدثين باللغة العربية، مسلمين كانوا أوغير مسلمين، فقد تليت عليهم مِقاطع من القرآن الكريم باللغة العربـــية، ثم تليت عليهم ترجمة هذه المقاطع باللغة الإنجليزية، وفي كل هـــذه المجموعـــات أثبتت التجارب المبدئية وجود أثر مهدىء للقرآن بنسبة ٩٧%.. وهذا الأثر ظهر في شكل تغييرات فسيولوجية تشير إلى مســـتوى تأثـــر الجهاز العصبي التلقائي. وتفاصيل هذه النتائج المبدئية عرضـــت على المؤتمر السنوي السابع عشر للجمعية الطبية الإسلامية بأمـــريكا الشـــمالية الذي عقد في مدينة سانت لويس، في أغسطس ١٩٨٤م، ولقد ظهر من الدراسات المبدئية أن تأثير القرآن على التوتر يمكن أن يُعزى لعاملين[1]:

الأول: هو صـــوت القرآن الكريم في كلمات عربية، بغض النظر عمّا إذا كان المستمع قد فهمها، وبغض النظر عن إيمان المستمع.

الـــثاني: هـــو معاني المقاطع القرآنية التي تليت، حتى ولو كانت مقتصـــرة على الترجمة الإنجليزية بدون الاستماع للكلمات القرآنية باللغة العربية.

---

(١) محمد كامل عبد الصمد، الإعجاز العلمي في الإسلام، ط٢ (القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ١٩٩٣م) ص ٣٠٧.

وإذا كانت النظرية الإعلامية البشرية تقول: إن الرسالة الإعلامية ينـــبغي أن تتجانس مع مستقبلها، وإنها تؤثر على مستقبل معين دون أن تؤثـــر عـــلى مســـتقبل آخر ذي خصائص مختلفة، فإن الإعجاز الإعلامـــي للقـــرآن يقدم إطارا من نوع آخر، فالقرآن يخاطب كل البشـــر، الغـــني والفقـــير، والمتعلم وغير المتعلم، كما يخاطب كل الأجـــناس، فالمؤمن غير المستقر، لظرف ما، إذا سمع القرآن عاد إلى حالـــة ملائمة، وكذلك الحال للمتعلم وغير المتعلم، والرجل والمرأة، العجـــوز والشـــاب... إلخ.. أي أنهم يتأثرون بشدة رغم اختلاف الثقافة والبيئة واللغة والحالة النفسية، أي أن القرآن يخاطب في البشر ما لا يعلمه البشر بدقة، ويعلمه الله، فالله يخاطب في النـــفس ملكات يعلمها، وتتأثر به، ونحن نفسر هذه الأمور وفقاً لعلمنا المحدود[1].

مـــن كـــل ما تقدم يمكننا القول: إن القرآن الكريم يُعتبر رسالة إقناعـــية خاطبـــت العقـــل البشري من خلال استراتيجيات محددة وأساليب إقناعية معروفة في عالم اليوم.. وبهذا فإنه مثلما سبق القرآن الكريم الاكتشافات العلمية الحديثة بعشرات القرون، فهو أيضاً يسبق مرتكزات النظرية الإعلامية بذات القدر.

---

(١) محمد علي العويني، الإعلام الإسلامي الدولي بين النظرية والتطبيق، ط٢ (القاهرة: ١٩٨٦م) ص١٩١.

القرآن والاستراتيجية الدينامية النفسية للإقناع

إن جوهـــر الاســـتراتيجية الدينامية النفسية هو استخدام رسالة إعلامـــية فعالة، لها القدرة على تغيير الوظائف النفسية للأفراد حتى يســـتجيبوا لهدف القائم بالاتصال، أي أن مفتاح الإقناع يكمن في تعـــلم جديد من خلال معلومات يقدمها القائم بالاتصال حتى يتغير البناء النفسي الداخلي للفرد المستهدف (الاحتياجات - المخاوف - التصرفات) مما يؤدي إلى السلوك العلني المرغوب فيه.

فمن بين المداخل المختلفة للإقناع: محاولة التغيير في البناء النفسي للفـــرد، بإثـــارة حاجياته أو دوافعه أو اتجاهاته، ومن ضمن الأنواع الشـــــائعة في هذا المجال هو إثارة توقعات المتلقي بأن قيامه بسلوك معـــين ســـــوف يجنبه أخطاراً ما أو حرماناً، أو يؤدي إلى فقدانه القبول الاجتماعي.

حيـــث يركز المحتوى في هذه الحالة على الأخطار أو النتائج غير المرغوبة إذا لم يستجب المتلقي لتوصيات الرسالة الإقناعية.

وفي القـــرآن الكـــريم تقع آيات الترغيب والترهيب ضمن هذه الاستراتيجية، وهي كثيرة جداً، غالبة، طاغية، ومقصدها الزجر من ارتكـــاب محظور، أو الحث على امتثال مأمور، وغاية الكل صلاح

الفـــرد وفوزه ونجاته من النار، قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ۝ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ (الإسراء:٩-١٠).

وفيما يلي مزيداً من الآيات القرآنية التي توضح استخدام القرآن للاســـتراتيجية الدينامية النفسية، مع بيان تفسير هذه الآيات عند ابن كثير، مع الأخذ في الاعتبار أن الآيات التي سنقوم بذكرها من القرآن الكريم تأتي على سبيل المثال وليس الحصر:

أ- قوله تعالى : ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴾ (البقرة:٢٣-٢٤).

في هذه الآية تقرير لنبوة محمد ﷺ وتحد من الله تعالى للكافرين أن يـــأتوا بمـــــثل هـــــذا القرآن أو ببعضه، فإن عجزوا - والحال أنـــهم سيعجزون - فالنار مثواهم، فهو تهديد ووعيد لهم[1] وبمراجعة

---

(١) أبـــو الفـــداء الحافظ إسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم (بيروت: دار الفكر، ١٤١٢هـــ- ١٩٩٢م)١/٩٢.

مرتكـــزات الاســـــتراتيجية الدينامـــية النفســـية نجـــد أن هـــذه الآيـــات توضـــح الأخـــطار أو النـــتائج إذا لـــم يستجب المتلقي لتوصيات الرسالة.

ب- قولـــه تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴾ (البقرة:٢٧٨-٢٧٩).

جاءت هذه الآيات لترهيب الناس من أكل الربا، قال ابن كثير: أي اتـــركوا مالكم على الناس من الزيادة على رؤوس الأموال بعد هـــذا الإنذار[1].. فهذه الآية تحاول تغيير البناء النفسي للمجتمع من خـــلال إثارة الفرد عبر حاجاته أو دوافعه، فهي تطلب من المؤمنين القيام بسلوك معين حتى يتجنبوا أخطاراً معينة.

ج- قولـــه تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴾ (الفرقان: ٦٨-٦٩).

---

(١) المرجع السابق، ٤٤٩/١.

هـــذه كبائر نفاها الله عن عباده الصالحين تعريضاً لما كان عليه أعداؤهم، وفيها الحث والترهيب من فعلها واقترافها[1].

فهـــي تؤكـــد صفات المؤمنين، وبذلك تحاول أن تنشط العامل الإدراكـــي للمؤمـــنين، كما أنها في ذات الإطار تحاول أن تعدل من السلوك النفسي لآخرين من خلال الترهيب والوعيد.

د- قولـــه تعالى: ﴿ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴾ (طه:١١٧-١١٩).

فالأثـــر المترتب على إصغاء آدم إلى إبليس هو الشقاء المتمثل في التعـــب في طلـــب القـــوت، الذي يسعى له وحده دون امرأته[2]. فالجانب النفسي في هذه الآيات يخاطب الاحتياجات بهدف الوصول إلى سلوك علني مرغوب فيه.

هـــ- قولـــه تعالـــى: ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴾ (طه:١٢٣-١٢٤).

---

(١) أبـــو الـــبركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل (بيروت: دار الفكر، بدون تاريخ) ٣/١٧٥.

(٢) المرجع السابق، ص ٦٩.

وتشير الآية إلى أن الشقاء في الآخرة هو عقاب من ضل في الدنيا عن طريق الدين، فمن اتبع كتاب الله وامتثل أوامره وانتهى عن نواهيه نجا من الضلال ومن عقابه[1].. وفي هذا أيضاً خطاب دينامي نفسي.

و- قوله تعالى: ﴿ وَيَٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِيٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَٰلِحٍ ۚ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ ﴾ (هود:٨٩).

معنى الآية كما قال ابن كثير: أي لا تحملنكم عداوتي وبغضي على الإصرار على ما أنتم عليه من الكفر والفساد فيصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح وهود وقوم لوط[2]- النقمة والعذاب — وبما أن هؤلاء القوم يعرفون ما حدث للأقوام المذكورين، ففي هذا بعد دينامي نفسي.

ز- قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴾ (غافر: ٧٠-٧٢).

قال ابن كثير: هذا تهديد شديد ووعيد أكبر من الرب جل جلاله لهؤلاء[3].. وهو أيضاً خطاب دينامي نفسي.

---

(١) المرجع السابق، ص٦٩.
(٢) ابن كثير، مرجع السابق، ٧٠٧/٢.
(٣) المرجع السابق، ١٣٢/٤.

ح- قولـــه تعالـــى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴾ (التحريم:٦).

قـــال ابن عباس: يقول اعـــملوا بطاعة الله، واتقوا معاصي الله، وأمـــروا أهليكم بالذكر ينجيكم من النار[1].. وفي هذا أيضاً خطاب دينامي نفسي.

فمن الآيات كلها، التي ســـبق ذكرها، يمكن القول: إن القرآن الكـــريم يسعى إلى التغيير في البناء النفسي للفرد من خلال استعمال استمالات التخويف أو التهديد.. والأمر الجدير بالملاحظة أن الآيات القرآنـــية التي تعـــمل على إثارة التوتر العاطفي نتيـــجة استمالات التهديد أو التخويف، تـــتضمن في الوقت ذاته التوصيات التي يمكن بمقتضـــاها تجنـــب الفرد مصـــادر هـــذا التـــهديد. ومن خـــلال تجـــريـــب هـــــذه التوصيات وتدعيمها، فإنها تتحول إلى عادات ســـلوكية تـــتفق مع أهداف القائم بالاتصال، وهو النبي ﷺ، وهذا جوهر الاستراتيجية الدينامية النفسية للإقناع.

---

(١) المرجع السابق، ٤/٦١٠.

إذا كان التخوف أو التهديـــد يثيـــر في الفرد الحاجة إلى الأمن أو تجنـــب الحرمان من تلبية حاجيات أخرى، بوصفها دوافع للفرد تدفعـــه للاســـتجابة السلوكية التي تلبي حاجاته، فإن المدخل الثاني للإقـــناع يركز على العلاقات الاجتماعية، ودافعية الانتماء، وحرص الفرد على تقدير الجمـــيع له، بحيث تجعله يتـــجنب الســـلوك الذي لا ترضـــى عـــنه الجماعة، ويستجيب إلى السلوك الذي يتوافق مع المعـــايير الاجتماعية التي تتمثل في القيم والتقاليد والأعراف التي تحدد معايير السلوك لدى الجماعة والمجتمع وخصائصه الثقافية.

وهذه المعايير والقواعد والضوابط، تمثل بالنسبة للقائم بالاتصال، في عملية الإقـــناع، مؤشرات لاتجاهات التأييد أو المعارضة، القبول أو الرفض، أو بصفة عامة قبول التوصـــيات أو رفضها في الرســـالة الإقناعية، وهذا مما يؤكد أهمية احتواء الرسالة على الرموز التي تتفق مـــع هذه القواعد والمعايير والضوابط، بحيث ترسم التوقعات بأنماط الســـلوك، كما ترسم للملتقي حدود الاتفاق أو الاختلاف مع هذه

القواعد والمعايير والضوابط، وبالتالي التوقعات بالثواب والعقاب الذي يتمثل في القبول الاجتماعي من الجماعة أو المجتمع[1].

إن مـــا تتطلـــبه استراتيجية ثقافية اجتماعية فعالة هو أن تحدد رسائل الإقناع للفرد قواعد السلوك الاجتماعي أو المتطلبات الثقافية الـــتي تحكم أنشطة العمل، التي يحاول رجل الإعلام أن يحدثها.. وإذا كانت التحديات موجودة فعلاً، تصبح المهمة هي عملية إعادة تحديد هذه المتطلبات.

وفي القـــرآن الكريم اقترنت هذه الاستراتيجية بمعجزات الرسل، عليهم السلام، حيث كانت هذه المعجزات تتفق مع القيم والعادات والأعراف التي كانت سائدة في مجتمع كل نبي من الأنبياء بما يناسب أهـــل زمانـــه، فكان الغالب على زمان موسى عليه السلام السحر وتعظـــيم السحرة، فبعثه الله بمعجزات بهرت الأبصار، وحيرت كل الســـحرة، فلما استيقنوا أنها من عند العظيم الجبار انقادوا للإسلام، وصاروا من عباد الله الأبرار..

---

(١) محمد عبد الحميد، نظريات الإعلام واتجاهات التاثير، مرجع سابق، ص٣٢٥- ٣٢٦.

وأمـــا عيسى عليه السلام فبعث في زمن الأطباء وأصحاب علم الطبـــيعة، فجـــاءهم من الآيات بما لا سبيل لأحد إليه إلا أن يكون مؤيـــداً من الذي شرع الشريعة، فمن أين للطبيب قدرة على إحياء الجمـــاد، أو عـــلى مداواة الأكمه والأبرص، وبعث من هو في قبره رهين إلى يوم التناد..

وكذلـــك محمـــد ﷺ بعث في زمان البلغاء والفصحاء وتجاريد الشـــعراء، فأتـــاهم بكتاب من الله عز وجل، لو اجتمعت الإنـــس والجن على أن يأتوا بمثله، أو بعَشر سور من مثله أو بسورة من مثله، لم يستطيعوا أبداً وإن كان بعضهم لبعضٍ ظهيـــراً، وما ذاك إلا لأن كلام الرب عز وجل لا يشبه كلام الخلق أبداً[1].

ففـــي قصة سيدنا موسى، عليه السلام، يقول الله تعالى: ﴿ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ﴿٥٩﴾ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦٠﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ

---

(١) ابن كثير، مرجع سابق، ٣٦٥/١.

كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ ﴿٦١﴾ فَتَنَٰزَعُوٓا۟ أَمْرَهُم
بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَىٰ ﴿٦٢﴾ قَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم
مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ ﴿٦٣﴾ فَأَجْمِعُوا۟ كَيْدَكُمْ
ثُمَّ ٱئْتُوا۟ صَفًّا ۚ وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ ﴿٦٤﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ
وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟ ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ
إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا
تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓا۟ ۖ إِنَّمَا
صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَٰحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا
قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴾ (طه:٥٦-٧٠).

يقول الله تعالى مخبراً عن فرعون: إنه قال لموسي حين أراه الآية الكبرى، وهي إلقاء عصاه فصارت ثعباناً عظيماً، ونزع يده من تحت جـــناحه فخرجـــت بيضاء من غير سوء، قال: هذا سحر جئت به لتسحرنا وتستولي به على الناس فيتبعونك وتكاثرنا بهم، ولايتم هذا معك فإن عندنا سحراً مثل سحرك، فلا يغرنك ما أنت فيه، فاجعل بيننا وبينك موعداً، أي يوماً نجتمع نحن وأنت فيه، نتعارض ماجئت بـــه بما عندنا من السحر في مكان معين وفي وقت معين، فعند ذلك

قال لهم موسى: موعدكم يوم الزينة، وهو يوم عيدهم وتفرغهم من أعمـــالهم واجـــتماع جميعهم، ليشاهد الناس قدرة الله على مايشاء، ومعجزات الأنبياء، وبطلان معارضة السحر لخوارق العادات النبوية، ولهذا قال: وأن يُحشر الناس ضحى، ليكون أظهر وأجلى وأوضح، وهكـــذا شأن الأنبياء، أمرهم بيِّن واضح، أما فرعون فلما تواعد هو وموسى عليه السلام إلى وقت ومكان معلوم ﴿ فَتَوَلَّىٰ ﴾ أي شرع من مدائن مملكته حيث كان السحر كثيراً نافقاً، ثم بعد ذلك اجتمع الناس فى الميقات المعلوم، وهو يوم الزينة، وجلس فرعون على سرير مملكـــته واصطف له أكابر دولته، ووقفت الرعايا بمنة ويسرة، وأقبل موســـى علـــيه السلام معه أخاه هارون، ووقف السحرة بين يدي فـــرعون صفوفاً وهو يحرضهم ويحثهم ويرغبهم فى إجادة عملهم في ذلك ٱليوم، ويتمنون عليه وهو يعدهم ويمنيهم، يقولون:

﴿ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُوا۟ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴾ (الشعراء: ٤١-٤٢).

﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ (طه: ٦١)

أي لاتخـــيلوا للناس بأعمالكم إيجاد أشياء لا حقائق لها وأنها مخلوقة

فـــتكونون قد كذبتم على الله ﴿ فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ ﴾ (طه:٦١) أي يهلككـــم بعقوبـــة هلاكاً لا بقية له: ﴿ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ ﴿٦١﴾ فَتَنَٰزَعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ ﴾ (طه:٦٢) قيل: إنهم تشاجروا فيما بينهم، فقائل يقول: ليس هذا بكلام ساحر إنما هذا كلام نبي، وقائل يقول لـــه: بـــل هو ساحر، ثم تناجوا فيما بينهم، ثم قالوا تعلمون أن هذا الـــرجل وأخاه - يعنون موسى وهارون - ساحران عالمان خبيران بصـــناعة الســـحر، يـــريدان فى هـــذا اليوم أن يغلباكم وقومـــكم ويســـــتوليا عـــلى الناس وتتبعهما العامة، ويقاتلا فرعون وجنوده، فينتصـــرا عليه ويخرجاكم من أرضكم.. وقوله: ﴿وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ ﴾ (طـــه:٦٣) أي يستبدا بهذه الطريقة، وهي السحر، ثم قال الســـحرة: ﴿ إِمَّآ أَن تُلْقِيَ ﴾ - أي أنت أولاً ﴿ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُواْ ﴾ أي أنـــتم أولاً لـــنرى ماذا تصنعون من الســـحر، ولـــيظهر للناس جلية أمرهم، فلما ألقى كل منهم سحره، خاف موسى على الناس من أن يفتنوا بسحرهم ويغتروا بهم، قبل أن يلقي ما في يمينه، فأوحى الله تعالى إليه فى الساعة الراهنة أن ﴿ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ ﴾، يعـــني عصـــاك، فإذا هي تلقف ما صنعوا، وذلك أنها صـــارت ثنيناً عظيماً هائلاً ذا قوائم وعنق ورأس وأضراس، فجعلت

تتبع تلك الحبال والعصي حتى لم تبق منها شيئاً إلا تلقفته، والسحرة والـــناس يـــنظرون ذلك عياناً، جهرة، نهاراً ضحوة، فقامت المعجزة واتضـــح البرهان، ووقع الحق وبطل السحر، ولهذا قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَٰحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴾.

فـــلما عاين السحرة ذلك وشاهدوه، ولهم خبرة بفنون السحر وطـــرقه ووجوهه، علموا علم اليقين أن هذا الذي فعله موسي ليس من قبيل الســـحر والحيل، وأنه حق لا مرية فيه، ولا يقدر على هذا إلا الذي يقول للشيء: ﴿ كُن فَيَكُونُ ﴾ فعند ذلك وقعوا ســـجداً لله، وقالوا: آمنا برب العالميـــن، رب موســـى وهارون، ولهذا قال ابـــن عباس وعبيد بن عمير: كانوا أول النهار سحرة وفي آخر النهار شهداء بررة[1].

ففي هذه القصة يعتبر تخطيط الرسالة الإعلامية وبناؤها هو العامل الأســـاس لنجاح العملية الإقناعية، التي استهدفت بناء اتجاهات وأنماط ســـلوكية جديدة في مجتمع كان يؤمن بالسحر وأفعال السحرة، وكان مدخـــل ذلك البناء الوجداني، بجانب البناء المعرفي، باعتبارهما العناصر

---

(١) ابن كثير، مرجع سابق، ٣/١٥٧- ١٥٨.

الأســـــاس لبناء الاتجاهات والميل الســـلوكي، وفقاً للاســـتراتيجية الثقافية والاجتماعية.

وفي قصة سيدنا عيسى، عليه السلام، يقول الله تعالى: ﴿ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ وَأُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأۡكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ (آل عمران:٤٩).

يقـــول ابـــن كثير: كان سيدنا عيسى عليه السلام يفعل بصور الطـــين شكل طير ثم ينفخ فيه فيطير بإذن الله عز وجل، عياناً بياناً، فكانـــت هذه معجزة تدل على أنه مرسل من عند الله.. ﴿ وَأُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ ﴾ قيل: إنه الذي يبصر نهاراً ولا يبصر ليلاً، وقيل بالعكس، وقيل الأعشى، وقيل الأعمش، وقيل هو الذي يولد أعمى، وهو أشبه لأنـــه أبلـــغ في المعجـــزة وأقـــوى في التحدي.. ﴿ وَٱلۡأَبۡرَصَ ﴾ معـــروف.. ﴿ وَأُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ ﴾، وهذه معجزة تتجانس والزمن الذي بعـــث فـــيه سيدنا عيسى عليه السلام، زمن الطب وأصحاب علم الطبيعة.. ﴿ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأۡكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمۡۚ ﴾

أي أخبركم بما أكل أحدكم الآن وماهو مدخر في بيته.. وكل هذه آيـــات لكـــم تـــدل عـــلى صدق ما جئتكم به[1].. فالبعد الثقافي والاجـــتماعي في رسالة سيدنا عيسى عليه السلام يهدف إلى تعديل صياغة سلوك اجتماعي متفق عليه من قبل الجماعة، وتحديد متطلبات ثقافـــية وقواعد سلوكية من خلال أدوار محددة، وكانت المعجزات الطبية التي جاء بها من عند الله تعالى مسرحاً لذلك.

أمـــا ســـيدنا محمـــد ﷺ فقد بُعث في زمان الفصحاء والبلغاء وتجاريد الشعراء، فكانت معجزته كتاباً من عند الله عز وجل، تحدى بـــه الله سبحانه وتعالى الجن والإنس على أن يأتوا بمثله، وأشار الحق عز وجل إلى أنهم لن يستطيعوا ذلك ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً، قـــال تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ (الإسراء:٨٨).

ينـــبه الله ســـبحانه وتعالى في هذه الآية على شرف هذا القرآن العظيم، فأخبر أنه لو اجـــتمعت الإنس والجن كلهم واتفقـــوا على

---

(١) المرجع السابق، ١/٣٦٤ - ٣٦٥.

أن يـــأتوا بمثل ما أنزل على رسوله، لما أطاقوا ذلك ولما استطاعوه، ولـــو تعاونوا وتساعدوا وتظافروا، فإن هذا أمر لا يستطاع، وكيف يشبه كلام المخلوقين كلام الخالق الذي لا نظير ولا مثيل ولا عديل له، وقد روى ابن إسحاق عن محمد بن أبي محمد عن سعيد بن جبير، أو عكـــرمه عن بن عباس قال: إن هذه الآية نزلت في نفر من اليهود جـــاءوا رسول الله ﷺ فقالوا: إنا نأتيك بمثل ما جئتنا به، فأنزل الله هذه الآية[1].

ولعل موقف الوليد بن المغيـــرة، الذي أشرنا إليه سابقاً، يأتي في السياق ذاته.

إن معجـــزات الأنبـــياء تـــأتي دائماً متجانسة مع النمط الثقافي والاجـــتماعي السائد في زمن كل نبي، فإذا ماعجزت الثقافة السائدة عـــن المجابهـــة والتصـــدي، والحال كذلك، أيقن المجتمع ذي الفطرة الســـليمة والبصيرة النافذة أن ماجاء به النبي هو من عند الله تعالى، فـــتقوم الحجـــة ويقع الدليل والبرهان، فتسود ثقافة جديدة ومجتمع

---

(١) المرجع السابق، ٦٢/٣.

جديد، ممتثل لأوامر الله تعالى، مجتنباً لنواهيه، ولا يتخلف عن الركب إلا مكابر أو صاحب غرض وهوى.

ويقـــع ضمن نطاق الاستراتيجية الثقافية والاجتماعية في القرآن الكـــريم الـــتدرج في التشريع، ومثال لذلك تدرج الأحكام في تحريم الخمـــر، قـــال تعالى: ﴿ ۞يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ (البـــقرة:٢١٩)؛ وقـــال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ ﴾ (النســـاء: ٤٣)؛ وأخـــيراً قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ (المائدة: ٩٠-٩١).

أورد ابـــن كـــثير في تفسيره عن أنس بن مالك: بينما أنا أدير الكأس على أبـــي طلحـــة وأبي عبيدة بن الجراح وأبي دجانة ومعاذ ابـــن جـــبل وسهيل بن بيضاء، حتى مالت رؤوسهم من خليط بسر

وتمر، فسمعت منادياً ينادي: ألا إن الخمر قد حرمت، قال: فما دخل عليـــنا داخـــل ولا خـــرج منا خارج حتى أهرقنا الشراب وكسرنا القلال، وتوضأ بعضنا واغتسل بعضنا، وأصبنا من الطيب. ثم خرجنا عـــلى المســـجد[1].. فمضمون الآية الأخيـــرة تحول إلى ســـلوك جماعي، كما في رواية الحديث.. ومن ذلك ما أورده ابن كثير أيضاً عن زيد بن ثابت عن أنس قال: كنت ساقي القوم يوم حرمت الخمر في بيت أبي طلحة، وما شرابهم إلا الفضيح والبسر، فإذا منادٍ ينادي، قال: اخرج فانظر، فإذا منادٍ ينادي: ألا إن الخمر قد حرمت، فجرت في سكك المدينة.

مـــن كـــل ما تقدم، فإن القرآن العظـــيم يمـــدنا بمســـلمات أساســـــية لفرضيات الاستراتيجية الثقافية والاجتماعية، وإذا أردنا تتـــبع ذلـــك في الآيات القرآنية لما وسعنا هذا السفر، ولكن حسبنا الـــنماذج الـــتي أشرنا إليها، ويمكن للقارىء أن يستنبط الآيات التي تناولـــت هـــذه الاســـتراتيجية من كتاب الله العزيز بعد أن عرف مرتكزاتها وأساليب بنائها.

---

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (بيروت: دار المعرفة، ١٩٩٧م) ٢/٩٧.

القرآن الكريم واستراتيجية إنشاء المعاني

سبق وأن أشرنا في الفصل الأول إلى أن وسائل الإعلام الجماهيرية تستخدم في إنشاء ودعم الصور الذهنية من خلال مصادر غير محددة للمعلومات، والتي تصوغ معاني جديدة، أو تبدل المعاني التي خبرها الناس عن كل شيء، وهذا هو جوهر استراتيجية إنشاء المعاني كمرتكز ثالث للإقناع في الرسالة الإعلامية.

وفي القرآن الكريم نجد استخداماً واسعاً لهذه الاستراتيجية، خاصة وأن الإسلام جاء لتغيير مجتمع كان يعيش في جهل وتخلف ويحتاج إلى صياغة جديدة تقوم على قيم فاضلة وأخلاق حميدة ومثل وسلوكيات يجب أن تتبع، وكان التغيير بحاجة إلى إنشاء معانٍ جديدة وتغيير معانٍ أخرى راسخة، وفي القرآن الكريم آيات كثيرة جاءت في هذا السياق، من ذلك قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُواْ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (البقرة:١٠٤).

قال ابن كثير: نهى الله عباده المؤمنين أن يتشبهوا بالكافرين في مقالهم وفعالهم، ذلك أن اليهود كانوا يعانون من الكلام ما فيه تورية

لمـــا يقصـــدونه مـــن التنقيص عليهم، فإذا أرادوا أن يقولوا اسمع لنا يقولوا: راعنا، ويورون بالرعونة كما قال تعالى: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ...﴾[1] ففـــي هـــذه الآية يدعو الله ســـبحانه وتعـــالى عـــباده إلى استخدام معانٍ جديدة بدلا من تلك المســـتخدمة، خاصةً وأن المعنى المنهي عنه يحمل أكثر من معنى عند استخدامه من قبل اليهود.

ومـــن ذلك قولـــه تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾(البقرة: ١٥٨)، جـــاء في سبب نزولها عن عاصم قال: سألت أنس بن مالك عن الصفا والمروة، فقال كانا من شعائر الجاهلية، فلما كان الإسلام أمسكوا عنهما فنزلت الآية[2].

وفي هـــذا تغيير للمعاني، فشعائر الإسلام تختلف في معانيها عن تلك التي كانت تمارس في الجاهلية، وفي ذلك تصحيح للمفاهيم التي كانت سائدة في الجاهلية، ودفع للحرج عن المسلمين.

---

(١) ابن كثير، مرجع سابق، ١٤٨/١.

(٢) أبـــو بكـــر محمد بن عبد الله بن العربي، أحكام القرآن، تحقيق علي محمد البجاوي (بيروت: دار الفكر، بدون تاريخ نشر) القسم الأول، ص٦٤.

وفي السياق ذاته قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾ (النساء:٢٢). قال ابن العربي: هو خلف الأبناء على حلائل الآباء، إذ كانوا في الجاهلية يستقبحونه ويستهجنون فاعله، ويسمونه المقتي، نسبوه إلى المقت.. قال: وقوله تعالى: ﴿ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ﴾ يعني من فعل الأعراب في الجاهلية، إذ أن بعضهم كانت الحمية تغلب عليه فيكره أن يعمر فراش أبيه غيره فيعلو هو عليه؛ ومنهم من كان يستمر على العادة وهو الأكثر، فعطف الله بالعفو عما مضى[1] وفي ذلك إنشاء معنى جديداً يفضي إلى سلوك جديد متعلق بحفظ الأنساب.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ ۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ﴾ (الأحزاب:٤)، قال ابن كثير: نزلت هذه الآية في شأن زيد ابن حارثة رضي الله عنهما مولى النبي ﷺ.. كان النبي ﷺ قد تبناه قبل النبوة، فكان يُقال له: زيد بن محمد، فأراد الله سبحانه وتعالى أن يقطع هذا

---

(١) ابن كثير، مرجع سابق، ٣/٤٦٥.

الإلحاق وهذه النسبة، بقوله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ﴾[1] وفي ذلك إنشاء لمعان جديدة تقود إلى اتباع سلوك جديد.

والآيات القرآنية التي قادت إلى إنشاء معانٍ جديدة أكثر من أن تحصى أو تعد.. وفيما يلي طـــائفة أخـــرى منها:

- قـــال تعالى: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ .. ﴾ (الأحزاب:٣٣).

ذكـــر الإمام القرطبي في تفسيره أن سودة رضي الله عنها قيل لها: لم لا تحجِّـــين ولا تعتمرين كما يفعل أخواتك؟ فقالت: قد حججتُ واعتمرتُ، وأمرني الله أن أقرَّ في بيتي.. قال الراوي: فو الله ما خرجَتْ مـــن باب حجرتها حتى أُخْرجـــت جنازتها، رضوان الله عليها.. قال ابـــن العربي: «لقد دخلتُ نيفاً على ألف قرية، فما رأيت نساءً أصون عيالاً ولا أعفّ نساءً من نساء نابلس، التي رُمي بها الخليلُ ﷺ بالنار، فـــإني أقمتُ فيها فما رأيت امرأة في طريق نهاراً إلا يوم الجمعة، فإنهن يخرجن إليها حتى يمتلىء المسجد منهن، فإذا قُضيت الصلاة وانقلبن إلى منازلهن لم تقع عيني على واحدة منهن إلى الجمعة الأخرى»[2].

---

(١) المرجع السابق، ٤٦٥/٣.

(٢) محمـــد بـــن أحمـــد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ط٢ (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٩٥٢م) ١٨٠/١٤-١٨١.

فهـــذه معانٍ جديدة طبقت في عهد النبي ﷺ، والقرون الهجرية الأولى، ونحن الآن بحاجة إلى بعث هذه المعاني من جديد، حتى تنداح في المجتمع في شكل سلوكيات تحفظ للمرأة كرامتها، بدلاً من متابعة أساليب الموضة الغربية التي لا تراعي إلاً ولا ذمة في جانب المرأة.

ومن المعاني الجديدة الـــتي جاء بـــها الإســـلام، نجد قول الحق عز وجل: ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ (المجادلة: ٢٢).

قال ابن كثير في معرض حديثه عن تطبيق الصحابة رضوان الله عليهم للإرشاد الوارد في هذه الآية:... ومن هذا القبيل حين استشار الرســـول ﷺ المسلمين في أسارى بدر، فأشار أبو بكر الصديق: أن يفادوا فيكون ما يؤخذ منهم قوة للمسلمين، وهم بنو العم والعشيرة ولعل الله تعالى أن يهديهم، فقال عمر: لا أرى ما رأى يارسول الله، هـــل تمكـــني من فلان (قريب لعمر) فأقتله، وتمكن علياً من عقيل،

وتمكـــن فلانـــاً مـــن فـــلان، ليعـــلم الله أن ليست في قلوبنا مودة للمشركين[1].. وكم نحن الآن بحاجة إلى هذه المعاني امتثالاً لأمر الله سبحانه وتعالى، وتنفيذاً لأحكامه.

ويمضي القرآن الكريم في تعليم المجتمع الإسلامي الأول معان جديدة لم تكـــن موجودة في الجاهلية، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ﴾ (النور: ٣١).

قال القرطبي في تفسيـــره: روى البخاري عن عائشة أنها قالت: «رحم الله النساء المهاجرات الأول، لما نزل: ﴿ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ﴾ شققن آزرهن فاختمرن بها.. ودخلت عائشة على حفصة بنـــت أخيها عبد الرحمن رضي الله عنهم، وقد اختمرت بشيء يشف عن عنقها فشقته عليها، وقالت: إنما يضرب بالكثيف الذي يستر»[2].

إن ســـور القـــرآن الكريم وآياته تحمل جميعها خصائص الرسالة الإقناعـــية، ســـواء من خلال الاستراتيجية الدينامية النفسية، أو الثقافية الاجتماعـــية، أو إنشاء المعاني.. ولعل ما حاولنا إبرازه يأتي على سبيل

---

(١) ابن كثير، مرجع سابق، ٤/ ٣٥٢.

(٢) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، الجزء ١٢/٢٣٠.

المثال لا الحصر، فالقرآن الكريم رسالة اتصالية صممت كأساس للإقناع من خلال الظرح الرباني المتـــكامل، الذي لا تشـــوبه شائبة أو ينقصه شـــيء، ونحن في القرن الحادي والعشرين علينا أن نستفيد من السياق الرباني لبعث الإسلام في نفوس المجتمعات المسلمة من جديد، وفي نشر دعوة الله إلى العالـــم كافة على أســـاس من الحجة والإقناع، آخذين في الاعتـــبار حديث النبي ﷺ، القائل: « **مَا مِنَ الأَنْبِيَاءِ نَبِيٌّ إِلا أُعْطِيَ مَا مِثْلهُ آمَنَ عَلَيْه الْبَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذي أُوتِيتُ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيَّ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»[1].

فهذه هي استراتيجيات الإقناع، التي أوضحنا كيفية استخدامها في الخطاب القرآني، الذي هدى هذه الأمة للتي هي أقوم، ومن المعلوم بالضـــرورة أن تبليغ رسالة القرآن الكريم إلى العالمين هو فرض على عـــلماء الأمـــة، فكـــان لابد في تبليغ هذه الرسالة العالمية من نقل مضامينها ومعانيها إلى أرجاء العالم كافة بأسلوب مقنع، انطلاقاً من قول علماء الأصول: «ما لايتم الواجب إلا به فهو واجب».

---

(١) أخرجه البخاري.

الفصل الرابع

استراتيجيات الإقناع ونشر الدعوة

في العصر الحديث

نشـــر الدعـــوة الإسلامية واجب على كل مسلم بالقدر الذي يطـــيقه، وفي حـــدود العلم الذي تعلمه، غير أننا يجب أن نعلم أن الدعوة الإسلامية ليست مجرد كلمات تردد، أو خطب تلهب حماس الناس، ولا فلسفة تخاطب العقول فقط، ولكنها دعوة عملية تبعث في اتـــباعها الحـــس والحركة، وتؤمن على الناس ما تتطلع إليه نفوسهم وتتشـــوق إلـــيه عقولهم وقلوبهم من راحة وطمأنينة في النفس وخير ورشـــاد في واقع الحياة[1].. ولنا أن نعلم أن عالـــم اليوم مهيأ لهذه الدعـــوة، فقد اشتكى كثير من المصلحين وعدد من قادة الدول في الغـــرب من تدهور القيم الأخلاقية والدينية في العالم، خاصةً الغربي منه، نتيجةً لســـيادة الفـــكر العلماني ونبذ قيم الإيمان والدين والبعد

---

(١) محمد السيد الوكيل، أسس الدعوة وآداب الدعاة، ط٢(المنصورة: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٨٦م) ص١١.

الغيبـــي للحياة، ومن هؤلاء ولي عهد بريطانيا الأمير تشارلس الذي قال أمام مركز الدراسات الإسلامية في أكسفورد ببريطانيا:

«لقد أصبحت الحضارة الغربية مولعة بالكسب واستغلاله على نحـــو مـــتزايد بما يتنافى مع مسؤولياتنا البيئية.. إن هذا الشعور الهام بالوحدانية والوصاية على الطابع القدسي والروحي للعالم من حولنا شيء مهم يمكن أن نتعلمه من جديد من الإسلام.. إنني على ثقة بأن بعـــض الناس ستسارع في اتـــهامي، كما يفعل عادةً بأنني أعيش في الماضي وأنني أرفض التأقـــلم مع واقع الحياة العصرية، إن الأمر على عكس ذلك، فما أدعو إليه هو فهم أوسع وأعمق ومتأنٍ أكثر لعالمنا، إنـــني أدعو إلى إيجاد بعد غيبـــي، بالإضافة إلى البعد المادي، لحياتنا، بغية استعادة التوازن الذي تخلينا عنه، والذي أعتقد أن غيابه سيثبت أنه مدمر في الأمد الطويل»[1].

وفي الســـياق ذاتـــه، تحـــدث الأمـــير تشارلس في هيئة الإذاعة الـــبريطانية، في شهر مايو ١٩٩٧م، مؤكداً أن الحضارة الغربية فقدت إيمانها بالله، وذكر أنه استنتج ذلك من الحرج الذي يلاقيه كلما تحدث عـــن الديـــن في المجتمعات البريطانية المستنيرة، وأنه كان يحتاج إلى

---

(١) الأمير تشارلس، الإسلام والغرب (أكسفورد، بريطانيا: ١٩٩٣م) ص٢٠.

استجماع شجاعته الأدبية في كل مرة يريد الحديث فيها عن الدين، ثم قـــال: إن عقـــوداً من اتباع النهج العلماني في الحياة عاد بعواقب وخيمة على الغرب، وإن الأمراض والأوبئة، ومنها مرض جنون البقر في بريطانيا، ماهي إلا نتيجة للحياة المادية البحتة، التي يعيشها الناس في الغـــرب، ودعا إلى الاستفادة من منهج الإسلام في تحصيل العلم والمعرفة، وذلك بالعقل والقلب جميعاً، ودعا كذلك إلى إفساح المجال لعلماء الإسلام للتدريس في الجامعات الغربية والبريطانية، كما دعا إلى فهـــم أفضل للإسلام الذي ينظر نظرة شاملة إلى الإنسان وإلى الكون، أساسها التوحيد بالله، الذي له الوصاية على الكون، ولو حدث هذا لعرف الإنسان الغربي البعد الغيبـــي والروحي للحياة[1].

ومعلوم أن الضلال الذي يعيشه العالم الغربي نابع في الأساس من تحـــريف اليهود والنصارى لكلمة التوحـــيد الخالصة (لا إله إلا الله) والزعم أن:

- المخلوق والخالق شيء واحد وشخص واحد.
- وأن الوالد والمولود شيء واحد وشخص واحد.

---

(١) زكريا بشير إمام، مواجهة العولمة، ط١ (الخرطوم: منشورات مركز قاسم للمعلومات وخدمات المكتبات، ٢٠٠٠م) ص١٧٥.

- وأن الأب إله، والابن إله (فمن هو الأعلى؟).

- وأن عزيـــراً إله، وأن الله عز وجل إله (فمن هو الأول ومن الآخر؟).

- وأن لله ولـــداً (فكيف يكون له ولد ولم يتخذ صاحبة، أي زوجة؟).

ورغم هذا الانحراف في عقيدة الغرب الفاسدة، يدعو «فرانسيس فاكوياما» إلى تعميمها على كل العالم، بالترغيب والترهيب، ويتخذ مـــن الســـلوك الأمريكي نموذجاً خاتماً يعتبره نهاية الرقي الإنسانـــي ونـــهاية الثقافة والحضارة[1].

وجدير بالملاحظة أن أفكار «فرانسيس فاكوياما» قوبلت بالنقد حـــتى عند الغربيين.. ففي كتابه «صدام الحضارات» يقدم «صمويل هانتنغتون» مجموعة من الانتقادات لأطروحات «فاكوياما»، منها:

أن الحضـــارة الغربـــية رائعة وفريدة ولكنها ليست عالمية؛ وأن المســـتقبل ســـوف يشـــهد أفول الحضارة الغربية وقيام تحالف بين

---

(١) فرانســيس فوكاياما، نهايــة التاريخ وخاتم البشر، ترجمة حسين أحمد أمين، ط١ (القاهرة: مركز الأهرام للترجمة والنشر، ١٩٩٣م) ص٣٥.

الحضـــارتين الإســـلامية والصينية؛ وأن الإسلام سوف يقوى على حســـاب الغرب إذا امـــتلك الحـــداثة والتقانة ولم يتغرب.. ورغم هـــــذا الموقـــف من «صمويل هانتنغتون» إلا أنه يعود ويحذر من تمكـــين الإســـلام من امتلاك التقانة الغربية لأنه سوف يقوى مادياً ويظـــل مـــع ذلـــك متمسكاً بالتعاليم الإسلامية، وهذا خطر على الغرب[1] وصدق الله العظيم القائل: ﴿ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ﴾ (الحشر:١٩)، ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (الزمـــر:٦٧)، وكيف تسنى لهم ذلك وهم في غمرتهم يعمهـــون وفي شهواتهم سادرون، ومعظم أهل الغرب اليوم يعيشون مشـــكلة في الصحة النفسية، وهي مشكلة أكبر وأعقد، لأنها تحتاج إلى معـــرفة قـــوى النفس وملكاتها ونوازعها، وهذه متعددة ومختلفة عـــلى حد التضارب في هذا الإنســـان الذي تكامـــلت في طبيعته كل التراكيب.

وقد اجتهد الحكماء القدماء من مختلف الأمم، كما اجتهد أهل الفلسفة العلمية على المستوى الفردي والاجتماعي، وكذلك اجتهد

---

(١) صمويل هانتنغتون، صدام الحضارات، ترجمة طلعت الشايب، ص٢٠.

عـــلماء الـــنفس المحدثـــون، في إرشاد الإنسان إلى الراحة من آلامه النفســـية، وتنوعـــت آراؤهـــم بحســـب ظروف حياة الأمم ونوع حضـــارتها، فمـــنهم من حاول معالجته من داخل ذاته، ومنهم من الـــتمس العلاج من خارجها، وكلهم يحاول تجنب المعاناة والشقاء، رغم اختلافهم في السبل والوسائل!

غـــير أنه في عصور انحلال الحضارة وسيطرة الترف مع أزمات في الفكر والحياة، يظهر من يدعو إلى لذات الجسد ولا يرى غيرها، ومنهم - كما حكى ابن مسكويه في كتابه (تهذيب الأخلاق)- من دعـــا إلى اســـتعمال الفكر في تنظيم اللذات، فيجعل أشرف ما في الإنسان خادماً لأحط ما فيه.

كـــل هـــذه الآراء تـــهدف إلى توفيـــر الراحة النفسية، ومنها ما لا ضرورة له، ومنها ما قد يكون مقبولاً من الناحية العملية بقدر مـــا تسمح طبيعة الحياة، لكنها دعوات ليس معها إلزام ولاجزاء من جهـــة، ولا تحل مشكلة الإنسان من جهة أخرى، ولك أن تشاهد حـــياة الإنسان الغربـــي اليوم، فهي لا تجـــيب عن ســـؤال لا مفر مـــنه للمفكر الجاد في أثناء معاناته للحياة أن يطرحه وهو: ما معنى

حياة الإنسان ووجوده في الأرض، بكل ملكاته الرفيعة، واستعداداته للهـــبوط إلى مســـــتوى الحيوان؟ وما هـــو قانون حياته، وما هو مصيره بعدها؟

وتبقى الإجابة الصحيحة عن هذه التساؤلات في النظرة الدينية الإســـلامية.. فهي وحدها التي تشمل معنى الوجود، بمعناه المطلق، وتقدم تصوراً متكاملاً للأشياء.. فالإيمان يقوم على المعرفة والتصديق الجـــازم، العقـــلي والنفســـي، بوجود صانع لهذا العالم، تام القدرة والحكمة والعناية والرحمة، فالإيمان في الإسلام بالذات ليس نوعاً من الإعلام الخبري بوجود الله وسائر أصول العقيدة، ولا هو مأخوذ من تـــراث الآبـــاء، بل هو مبني على التفكير في تلك الأصول، وجعلها مســـائل للبحـــث والدليل والبرهان، باستعمال العقل، وخصوصاً الـــتفكير في هـــذا العالم وفي الإنسان ومكانه فيه، واتخاذ ذلك نقطة الـــبداية للاســـتدلال[1] قال تعالى: ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِي ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ (يونس:١٠١)، وقال تعالى: ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِيٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾

---

(١) راجع في ذلك الشبكة الدولية للمعلومات، إسلام نت، د. محمد عبد الهادي أبو ريدة، الصحة البدنية والنفسية في الإسلام، ص٣.

(الذاريات:٢٠-٢١)، وقال سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَآيَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۝ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ (الجاثيه:٣-٤) وقال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ ﴾ (الأعراف:١٨٥).

القرآن الكريم له منهج رشيد في خطاب المدعوين، فالله عز وجل هو خالقهم، وهو أعلم بهم من أنفسهم، فخاطب كل صنف منهم بما يناسبه من التأثير والانفعال النفسي وإثارة الوجدان وتحريك العواطف حتى ينتج عن ذلك الاستجابة لما يُدْعَوْن إليه؛ لذا يجب أن يتبع الدعاة في نشر الدعوة كل أسلوب يوصلها قلوب الناس، ويحقق الغاية المطلوبة منها، وعليهم أن يطوروا هذه الأساليب حتى لا تتعارض مع دعوتهم ولا تصطدم بقواعد الدين، قال تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾ (النحل:١٢٥)، فالحكمة في الآية هي الحجج القاطعة الصحيحة، كما ذكر الشوكاني في فتح القدير، أو هي الأدلة اليقينية الموضحة للحق، المزيحة للشبهة، كما صرح بذلك البيضاوي في تفسيره.. وهذا يمثل أساس الإقناع في الخطاب الدعوي.

إن الأمـــر الذي ينبـــغي أن يعيه القائمـــون على أمر الدعـــوة لله عز وجل، أن للعمل الإسلامي المعاصر وظيفتين[1]:

١- **وظـــيفة البـــناء الإيماني والعقدي** وإحياء ما أماته الناس من شرائع الإسلام.... وهو في هذا يدور في فلك المنهجية العلمية، يدعو إلى أصـــول هذا المنهج، وينشّئ رجاله على أساسه.. وقاعدته في هذا الإطار هم الملتزمون بهذا المنهج.

٢- **وظـــيفة الدفاع عن الإسلام في مواجهة الكفر** المطبق في هذه الأيام، وهو في هذا حركة جهادية عامة، تدور في فلك المذهبية الإسلامية، بالمعنى العام.. وتتضمن هذه الوظيفة - فيما أرى - معنى أن يعمـــل الدعـــاة على نشر الإسلام في العالم كافة، وتبصير أهل العقائد الفاسدة، فضلاً عن الدفاع عن الشبهات والهجوم الذي يشن على الإسلام، وهذا أمر يستدعي استخدام الاســـتراتيجيات الثلاث للإقـــناع، ممـــا يتطلب من الداعية عدَّة فكرية، بجوار العدّة الروحية والأخـــلاقـــية، فالدعـــوة عطاء وإنفاق.. ومن لـــم يكن عـــنده علم ولا ثـــقافة كيف يعطي غيره؟

---

(١) صـــلاح الصـــاوي، الثوابت والمتغيرات في مسيرة العمل الإسلامي المعاصر، ط٢ (القاهرة: دار الإعلام الدولي، ١٩٩٤م) ص٣١٥.

لقـــد تبين لكثير من الباحثين في هذا المجال أن الداعية بحاجة إلى مجموعة من الثـــقافات، من أهمها[1]:

أ- الثقافة الإسلامية.

ب- الثقافة التاريخية .

ج- الثقافة الأدبية واللغوية.

د- الثقافة الإنسانية.

هـــ- الثقافة العلمية.

و- الثقافة الواقعية.

وامتلاك الفرد لهذه الثقافات هو - فيما نرى- الذي يجعله يعمل عـــلى صياغة طابعه الدعوي بطريقة تقنع الآخرين بطرحه.. فمعرفة وفهم القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة والفقه، يمثل جوهر الثقافة الإسلامية؛ أما التاريخ فهو الذاكرة البشرية، وسجل أحداثها، وديوان عـــبرها، والشـــاهد العـــدل لها أو عليها، ويهمـــنا في ذلك تاريخ الإســـــلام والأمـــة الإسلامية خاصـــة، وتاريخ الإنسانية عامـــة، وهذا يمثل أســـاس الثقافة التاريخية.

---

(1) يوســف القرضـــاوي، ثقافـــة الداعية (الكويت: مطبعة الفيصل، منشورات الاتحاد الإســـلامي العالمي للمنظمات الطلابية، بدون تاريخ نشر) راجع الصفحات ٩-١٩٣-١٦٥-١٨٠-١٩٠.

وإذا كانـــت الثقافة الدينية لازمة للداعية بالدرجة الأولى، فإن الـــثقافة الأدبـــية واللغويـــة لازمة كذلك، ولكن الأولى تلزمه لزوم المقاصـــد والغايـــات، والثانية تلزمه لزوم الوسائل والأدوات، فاللغة بمفرداتها ونحوها وصرفها لازمة لسلامة اللسان وصحة الأداء، فضلاً عن حسن أثرها في السامع، بل صحة الفهم أيضاً، فالأخطاء اللغوية إن لم تحرف المعنى وتشوه المداد، يمجها الطبع وينفر منها السمع.

أمـــا الـــثقافة الإنسانـــية، فتعني مدى إلمام الداعية إلماماً مناسباً بأصـــول ما يعرف الآن باسم (العلوم الإنسانية) مثل علوم: النفس، والاجتماع، والاقتصاد، والفلسفة، والأخلاق.

والثقافة الخامسة المطلوب توفرها عند الداعية هي الثقافة العلمية، والعلم هنا بمفهومه الاصطلاحي الحديث كما شاع عند الغربيـــن، فهـــو ما قام على الملاحظة والتجربة وخضع للقياس والاختبار مثل علـــوم الفيزياء والكيمياء ...إلخ، ولا يقصد هنا أن يتعمق الداعية في دراسة هـــذه العلوم، وإنما عليه أن يطالع بعض الكتب الميسر فهمها، فهي مهمة لفهم الحياة المعاصرة، كما أن هذه العلوم يتخذها بعضهم للتشكيك في الدين.

ومـــن أهـــم ما يلزم الداعية: الثقافة الواقعية المستمدة من واقع الحـــياة الحاضـــرة وما يدور به الفلك في دنيا الناس الآن، داخـــل العالـــم الإسلامي وخارجه.

والملاحـــظ أن هـــذه الثقافات، والتسلح بها، تعطي الداعية معرفة مـــتكاملة باســـتخدام استراتيجيات الإقناع، سواء كان ذلك في المجال النفسي، أو الثقافي الاجتماعي، أو إنشاء المعاني، ومن هناك يمكن القول: إن أساسيات الخطاب الدعوي واضحة، وسمات الداعية أوضح.. ويبقى لـــنا الحديـــث عـــن وسائل الدعوة، ونخص منها هنا وسائل الاتصال الجماهيري، فهي الأمضى سلاحاً والأقوى أثراً في عالم اليوم.

فقد استخدم أعداء الإسلام هذه الوسائل لضرب الأمة الإسلامية في عقر دارها، ولا ينكر أحد الآثار السلبية لمحطات التلفزة والإذاعات الدولية المتمثلة في جوانب الهيمنة الاتصالية، والاستلاب الثقافي، والغزو الفكـــري، والاســـتخدام في إطار الصراع وتأجيج نيران الفتن داخل الـــدول الإسلامية؛ وهذه الآثار السلبية أثرت في منظومة القيم، لأنها سمحـــت فقـــط بانتشـــار قيم معينة تؤثر على العالم بطريقة واحدة، وأحدثـــت تغييرات اجتماعية عميقة يمكن ملاحظتها في أنماط السلوك الســـائدة في بلـــدان العالم الإسلامي، التي تمتلك فضائيات لم تكتمل

رســـالتها، لا مـــن حيث التأثير ولا من حيث الانتشار، فهي ضعيفة المحتوى والشكل؛ والأشد خطراً هو أن هذه القنوات تفرد حيزاً كبيراً في خريطتها البرامجيه للمنتجات الإعلامية الغربية، وبذا يكون الجمهور عرضة لتأثيرين كليهما آت من الغرب، أحدهما تقوم به الوسائل الغربية والآخر تقوم به وسائلنا، وهذه قمة التبعية.

إن الصحوة الإسلامية لا تصنعها التمنيات وإنما ينهض بها فرسان الثقافة الإسلامية وأصحاب الضمائر الحية والرؤية البعيدة، وأصحاب العـــزائم والإرادات الذين يعملون وينتجون للفكر الإسلامي الرفيع المبـــتعدين عـــن التقليد الأعمى أو الوقوع في شباك التبعية، بالأرض والفضـــاء، ورحم الله تعالى أصحاب الرسول ﷺ الذين عملوا على نشر الدعوة في أرجاء العالم كافة رغم مشقة الأسفار وحواجز اللغة وبدائية الوسائل، منطلقين في كل ذلك من حديث النبي ﷺ: «**بَلِّغُوا عَـــنِّي وَلَوْ آيَةً**»[1]، وقولـــه ﷺ: «**نَضَّرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا شَيْئًا فَبَلَّغَهُ كَمَا سَمِعَ، فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ**»[2].

---

(١) أخرجه البخاري.
(٢) أخرجه الترمذي، وقَالَ : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

وبمـــا أننا نتحدث عن وسائل نشر الدعوة، لماذا لا تكون للأمة الإســـلامية قناة تلفزيونية فضائية دولية تبث برامجها بعدد من اللغات إلى أنحـــاء العالم كافة، يرتكز خطابها الإعلامي على الحجة والإقناع المستمد من القرآن الكريم ونهجه والسنة النبوية المطهرة وفيضها؟

على أن تقوم هذه القناة بإدارة حوار هادف خاصة مع الغرب، الذي يُعتبر الحوار معه له دواع ومبررات، منها:

- أنـــه ضـــرورة شرعية لتبليغ الرسالة .. وحمل أمانة الدعوة، فالأصل هـــو التفاعل التبليغي وعـــدم جواز السكون .. قال تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ (آل عمران:١٠٤).

- وأنـــه عمليـــة ضـــرورية يفرضها الواقع العالمي القائم على الاتصـــال والـــتفاعل والاعـــتماد المشـــترك بين الأمم والشعوب والجماعـــات، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ ﴾ (الحجرات: ١٣).

- وأنـــه ضرورة لبناء مستقبل الأمة، ذلك أن فهم مقاصد الدين وتجســـيد روح التدين الحقيقي يدعو الأمة الإسلامية إلى الانفتاح على

قواعد تأخذ في الحسبان خلاصة التجارب الإنسانية والسعي لتأصيلها.. قال تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ (آل عمران: ١١٠).

ويتناول هذا الحوار العلاقة النظرية والعلاقات الدولية، إضافة إلى العلاقة الواقعية بصورها المختلفة ومراحلها ونماذجها عبر عدة محاور، أولها الخطاب الثقافي الحضاري، ثم الخطاب السياسي، فالخطاب الاقتصادي فالخطاب الاجتماعي وأخيراً الخطاب الفني الرياضي[1].

أما الجانب الآخر الذي ينبغي أن تقوم به هذه القناة، فهو تحديد هوية الأمة الحضارية وفقاً للنموذج الإسلامي.. وحتى تقوم القناة بذلك، ينبغي الوفاء بثلاثة متطلبات هي:-

أولاً: ينبغي أن تكون النخبة السياسية والاقتصادية في الأمة بصفة عامة مؤيدة لهذا التحرك ومتحمسة له.

ثانياً: ينبغي أن يكون الرأي العام مستعداً للإذعان لإعادة التحديد، وأرى أن الأمة الإسلامية الآن على أتم الاستعداد لذلك.

ثالثاً: ينبغي أن تكون الجماعات المسيطرة في الحضارة المتلقية

---

(١) حسن الترابي، في كتاب صموبل هانتنغتون، صدام الحضارات، ص٦٥.

راغبة في تبني التحول، وهذا الطلب يتم عبر الحوار مع الغرب الذي أشرنا إليه، ولعل الأجواء مواتية خاصة ضمن مصطلح «العولمة» التي يظنها بعضنا ريحاً عاتية تندفع مرة واحدة لتكتسح كل ما يقف بوجهها ثم ينبت بعدها زرع جديد وعالم جديد مختلف كلياً عما سبق، وبالطبع هذا غير ممكن، فقد يكون فيزيائياً وعلى الطبيعة ممكناً، ولكن على المستوى الإنساني مستحيل.

إن التحولات الاجتماعية والثقافية تأخذ فترات طويلة، وتتم على مراحل متعددة، وتأخذ أحياناً شكلاً حلزونياً وليس اتجاهاً مستقيماً إلى الأمام، وهكذا بالنسبة «للعولمة» فالتغيير فيها يتم على مراحل، مما يوجد نوعا من التداخل الواضح في عالم الاقتصاد والسياسة والثقافة، ودون أن يأخذ بعين الاعتبار الانتماء لدولة ما أو الحدود الفاصلة بين الدول، وهنا لا غرابة أن تتراءى القضية وكأنها محاولة أمريكية لصياغة العالم بما يتلاءم معها سياسة وتوجهات... فلماذا لا يكون للأمة الإسلامية دور بارز في هذه العملية؟

وإذا أردنا أن ننظر في مراحل هذه العملية الهائلة لوجدنا أن الإعلام يدخل في كل مرحلة من مراحلها، فهو المبشر لها والمروج

لأفكارهـــا، وهـــو الذي يقوم بدور النازع للأفكار السابقة وزرع الأفكـــار الجديدة، أي باختصار شديد هو الحامل لمضامين «العولمة» وهـــي تنـــتقل من خطوة إلى أخرى، إلا إن وسائل الإعلام العالمية مسيـــرة من قطب واحد لا تســـتطيع أن تخرج من نطاقـــه، وليس لها خيار للتخلص من أسره، فلماذا لا تكون الأمة الإسلامية مبادرة حـــتى تصـــبح القطب الثاني الذي يواجه القطب الأول، ولماذا ينتظر العالم الإسلامي حتى يترك القطب الأول فرصة زرع الأفكار الجديدة في أوساط شعوبه؟

لماذا لا نزرع أفكار الإسلام وقيمه ومثله وأخلاقياته في أوساط الشعوب الأخرى؟

غـــير أنـــنا مازلـــنا ننتظر، ويمكن ملاحظة ذلك من خلال المد الإعلامـــي المتصـــل مـــن الغرب تجاه الديار الإســـلامية، فشبكة الـــتلفزيون الأمريـــكـــية (CNN) على سبيل المثال، نظام أمريكي مـــتكامل نصّب نفســـه قيِّماً على صياغة الأحـــداث في العالـــم، فـــلا يســـتطيع جهاز إعلامي في أية دولة أو ليس في مقدور متتبع للقضـــايا العالمـــية أن يـــتحرك دون ترتيب CNN للأحداث، من الصـــومال إلى بورنـــدي إلى البلقان مروراً بالشيشان وأفغانستان،

والموســـف أن قنواتـــنا، في الأمـــة العربية والإسلامية، تقع في ذات الشراك، فتعمق بذلك تبعيتها.

إن التحدي الثقافي لعملية «العولمة» هو المواجهة المتصلة من الآن فصـــاعداً لـــنماذج حضـــارية اجتماعية ثقافية بعينها، تلك النماذج الحضارية ذات التجربة التاريخية، التي أسهمت في بناء العالم، وأول هذه النماذج ذات الجذور الحضارية النموذج الإسلامي، وذلك ليس باعتبار أن الـــنموذج الإسلامي تأسس على الدين وحسب وإنما لأن النموذج الحضـــاري الإسلامي هو نموذج داع.. فالحضارة الإسلامية داعية إلى إعمـــار الإنسان والعالم، فاختصاص حضارة الإسلام بالرسالة الخاتمة يستوجب أول ما يستوجب حضور المسلمين لله في هذا العالم.

هذا الحضور هو تجربة قد تفتقر إليها كثير من المجتمعات البشرية الـــتي قد تحقق مرحلة الوجود، فأنماط القيم والأفكار والسلوكيات متســـاندة مع المخترعات والأدوات والمؤسسات والقنوات، وأنماط التعبير الإبداعي تعني أن مجتمعاً ما قد حقق قدراً من العمران لعمارة الأرض وبناء نموذج بشري متصرف فيها؛ فالصين اليوم قد تنـــزعج مـــن مقومـــات «العولمة» وتباشيرها بوصف أن الصين أمة حضارة قديمـــة، لكـــن مـــا أن يتحقق للصين الدخول في مركز «العولمة» الاقتصادية حتى تترك هذا الانزعاج.

والفـــارق أن الحضارة الإسلامية بوصفها حضارة ذات تكليف إلهي فهي داعية إلى نموذج إنساني ثقافي، نموذج للاقتداء به، نمط من العـــلاقات بين البشر وخـــالقهم ومع الـــكون، ومن هـــذا يتجدد هذا التكليف في إنجاز «إنسان معيار» قال تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (النور:٣٨)، في حين أن الحضارة الغربية لا تحدد «إنساناً معياراً» بل نجد أن موقع إنجازاتها التطبيقية المتلاحقة في سرعة مذهلة لا يتعدى الإنسان العادي في غمـــرة فرديته البسيطة وإلحاحه المستمر لإشباع حاجاته الغريزية الماديـــة، وتوفير وسائل تسليته، والترويح عنه، وصولاً إلى حد كف نظره عن قضايا وجوده، غاية ومصيراً.

من كل ما تقدم، لابد لنا من المشاركة في عولمة العالم؛ لابد من إحـــياء واسترجاع دورنا الحضاري الذي انقطع منذ قرون، والأمة الإســـلامية مكلفة تكليفاً لا نكوص عنه.. وهذه المسؤولية الحضارية

المستعادة، لا تتحقق إلا من خلال فهمنا لجوهر حضارتنا ومسؤولية هذه الحضارة تجاه البشرية جمعاء[1].

ونـــرى أن القناة الفضائية الإسلامية، متعددة اللغات، يمكن أن تقـــوم بـــدور فاعل في هذا الجانب إذا ما خلصت النوايا وتكاتفت الجهـــود، مع ملاحظة أن الإعلام الدعوي متميز بأهدافه ومتطلباته وشـــرائعه والقوانين التي تحكم عمله، إنه ليس مجرد برامج دينية تنشر في خارطـــة البرامج، ولكنه جهود مخططة تستهدف الإبلاغ بالحقيقة وتنقية الرسالة الإعلامية من كل الشوائب والملوثات لتكون ذا منبت حســـن وأهداف نبيلة؛ إنه إعلام الكلمة الطيبة الذي يسهم في بناء الإنسان وفق النهج الإسلامي ويخلصه من العبودية لغير الله في البرامج والمعالجـــات كافـــة، بدءاً من فقرات الترفيه وانتهاءً بإعلام الأزمات والشـــدائد[2]، قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ (فصلت:٣٣) على أن يتم كل ذلك وفقاً للاستراتيجيات الثلاث للإقناع.

---

(١) أحمد عبد العال، العولمة... ثقافياً، صحيفة الصحافي الدولي، الخرطوم، السنة الثانية، العدد ٥١٦، ٩ يوليو ٢٠٠١م، ص٨.

(٢) محـــي الدين عبد الحليم، إشكاليات العمل الإعلامي بين الثوابت والمعطيات، سلسلة كتاب الأمة رقم ٦٤ (الدوحة: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٩٩٨م) ص٥٩.

إن الإقـــناع في أدبـــيات الاتصال والإعـــلام، يقوم على بناء الرســـالة الـــتي تبث أو تنشر على الجمهـــور وأسلوب تقديـــمها، فالرســـالة وخصائصها تظل هي المتغيـــر الأســـاس والحاســـم في تحقيق هدف الإقناع، الذي يتم من خلال التخطيط السليم والناجح للرســـالة الإعلامـــية وبناؤها عبر مداخل تستهدف البناء الوجداني والبناء المعرفي.

والقـــرآن الكـــريم كرســـــالة إعلامية إقناعية راعى كل هذه الجوانـــب، فقد اســـتخدم نفس الحروف والكلمات التي يستخدمها العـــرب، وفي هذا إشارة إلى ضرورة استخدام الدعاة وأهل الإعلام اللغـــة الســـائدة في المجـــتمع من غير مبالغة أو تكلف حتى تنساب رســـائلهم إلى مســـتقبليهم من غيـــر عنت أو مشقة، فتحقق بذلك أهدافها ومراميها.

ومـــن «التكتـــيكات» الإقناعية التي استخدمها القرآن الكريم: جذب الانتباه للمستقبل، والقابلية للتصديق، والتكرار، والتشخيص، والاعـــتماد على المصادر الموثوقة، والتجاهل المتعمد لبعض المواقف، إضـــافة إلى الوضـــوح.. وكلها «تكتيكات» نحن بحاجة لها في عالم

الـــيوم، الذي أخفق فيه المسلمون في طرح وجهات نظرهم وتعريف الآخرين بحضارتهم وتاريخهم، الأمر الذي قاد إلى رسم صورة ذهنية سلبية عنهم، خاصة وسط سكان العالم الغربي.

فالمســـلمون الآن بحاجة إلى إحسان التعامل مع وسائل الإعلام، فهـــناك حاجـــة ملحة لوجود إسلامي فاعل عبر الوسائل الإعلامية، يقـــدم المســـلمون من خلاله المقالات والكتب والأبحاث والمعارض والندوات والبـــرامج الإذاعية والتلفزيونية على مســـتوى يـــتفاعل مـــع عقـــول وأقلام الفكر الغربي، وبهذا وحده سنكون شهداء على الـــناس كما كان الرسول ﷺ شهيداً علينا... وإلا نكون قد ضيعنا الأمانـــة- قـــال تعـــالى: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ (الحج:٧٨).

الفهرس

الموضوع	الصفحة
* تقديم: الأستاذ عمر عبيد حسنه	٥
* المقدمـــــة:	٢٩
* الفصـــل الأول: اســـتراتيجيات الإقـــناع	٣٢
– الاستراتيجية الدينامية النفسية	٣٧
– الاستراتيجية الثقافية الاجتماعية	٤٠
– استراتيجية إنشاء المعاني	٤٣
* الفصل الثاني: استمالات وأساليب الإقناع في الرسالة الاتصالية..	٤٧
– الاستمالات المستخدمة في الرسالة الإقناعية	٥٣
– أساليب الإقناع المستخدمة في الرسالة الاتصالية	٦٤
* الفصـــل الثالث: القرآن الكريم وأساليب الإقناع	٧١
– القـــرآن والاســـتراتيجية الدينامـــية النفسية للإقناع	٧٨
– القرآن والاستراتيجية الثقافية الاجتماعية للإقناع	٨٤
– القرآن الكريم واستراتيجية إنشاء المعاني	٩٦
* الفصل الرابع: استراتيجيات الإقناع ونشر الدعوة في العصر الحديث	١٠٣
* الفهرس	١٢٥

الأمة كتاب

سلسلة دورية تصدر كل شهرين عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - قطر

هاتف: ٤٤٤٧٣٠٠ - فاكس: ٤٤٤٧٠٢٢ - ص.ب: ٨٩٣ - الدوحة

صدر منها :

• مشكلات في طريق الحياة الإسلامية	الشيخ محمد الغزالي
• الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف	الدكتور يوسف القرضاوي
• العسكرية العربية الإسلامية	اللواء الركن محمود شيت خطاب
• حول إعادة تشكيل العقل المسلم	الدكتور عماد الدين خليل
• الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري	الدكتور محمود حمدي زقزوق
• المذهبية الإسلامية والتغيير الحضاري	الدكتور محسن عبد الحميد
• الحرمان والتخلف في ديار المسلمين	(+ ط إنجليزية) — د.نبيل صبحي الطويل
• نظرات في مسيرة العمل الإسلامي	الأستاذ عمر عبيد حسنه
• أدب الاختلاف في الإسلام	الدكتور طه جابر فياض العلواني
• التراث والمعاصرة	الدكتور أكرم ضياء العمري
• مشكلات الشباب: الحلول المطروحة والحل الإسلامي	الدكتور عباس محجوب
• المسلمون في السنغال.. معالم الحاضر وآفاق المستقبل	الأستاذ عبد القادر محمد سيلا
• البنوك الإسلامية	الدكتور جمال الدين عطية
• مدخل إلى الأدب الإسلامي	الدكتور نجيب الكيلاني

- **المخـــدرات مـــن القلـــق إلـــى الاستعباد**

الدكـــتور محمـــد محمـــود الهواري

- **الفكـــــر المـــــنهجي عـــــند المحدثـــــين**

الدكـــتورهـــمام عبد الرحيم سعيد

- **فقـــه الدعـــوة: ملامح وآفاق.. في حوار**

("الجـــزء ١، ٢" + طـــبعة خاصـــة بمصـــر) — الأستاذ عمر عبيد حسنه

- **قضية التخلف العلمي والتقني في العالم الإسلامي المعاصر**

الدكـــــــــتور زغلـــــــــول راغـــــــــب الـــــــــنجار

- **دراســـــــة في البـــــــناء الحضـــــــاري**

(+ طبعـــتا مصـــر وللغـــرب) — الدكـــتور محمـــود محمـــد ســـفر

- **في فقـــه الـــتدين فهمًـــا وتـــنـــزيلاً**

("الجـــزء ١، ٢" + طبعتا مصر والمغرب) - الدكتور عبد المجيد النجار

- **في الاقتصـــــــــــاد الإســـــــــــلامي**

(+ طبعـــتا مصـــر وللغـــرب) - الدكـــتور رفعـــت الســـيد العوضـــي

- **النظرية السياسية الإسلامية في حقوق الإنسان الشرعية**

(+ طبعتا مصر والمغرب) - الدكتور محمد أحمد مفتي والدكتور سامي صالح الوكيل

- **أزمتنا الحضارية في ضوء سنة الله في الخلق**

(+ طبعـــتا مصـــر وللغـــرب) - الدكـــتور أحمـــد محمـــد كـــنعان

- **المنهج في كتابات الغربيين عن التاريخ الإسلامي**

(+ طبعـــتا مصـــر وللغـــرب) — الدكـــتور عـــبد العظـــيم محمـــود الديب

- **مقـــالات في الدعـــوة والإعلام الإسلامي**

(+ طبعـــتا مصـــر وللغـــرب) — نخـــبة مـــن المفكـــرين والكـــتاب

- **مقومات الشخصية المسلمة أو الإنسان الصالح**

(+ طبعـــتا مصـــر وللغـــرب) — الدكـــتور مـــاجد عرســـان الكـــيلاني

- **إخراج الأمة المسلمة وعوامل صحتها ومرضها**

(+ طبعتا مصر وللغرب) – الدكتور ماجد عرسان الكيلاني

- **الصحوة الإسلامية في الأندلس**

(+ طبعة خاصة بمصر) – الدكتور علي المتصر الكتاني

- **اليهود والتحالف مع الأقوياء**

(+ طبعة خاصة بمصر) – الدكتور نعمان عبد الرزاق السامرائي

- **الصياغة الإسلامية لعلم الاجتماع**

(+ طبعة خاصة بمصر) – الأستاذ منصور زويد للطيري

- **النظم التعليمية عند المحدثين**

(+ طبعة خاصة بمصر) – الأستاذ المكي أقلاينة

- **العقل العربي وإعادة التشكيل**

(+ طبعة خاصة بمصر) – الدكتور عبد الرحمن الطريري

- **إنفاق العفو في الإسلام بين النظرية والتطبيق**

(+ طبعة خاصة بمصر) – الدكتور يوسف إبراهيم يوسف

- **أسباب ورود الحديث**

(+ طبعة خاصة بمصر)– الدكتور محمد رأفت سعيد

- **لي الغزو الفكري**

(+ طبعة خاصة بمصر) – الدكتور أحمد عبد الرحيم السايح

- **قـــيم المجـــتمع الإسلامي من منظور تاريخي**

("الجـــزء ١، ٢" + طـــبعة خاصـــة بمصـــر) – الدكـــتور أكـــرم ضياء العمري

- **فقـــــــــه تغـــــــــير المـــــــــنكر**

(+ طـــبعة خاصـــة بمصـــر) – الدكـــتور محمـــد توفـــيق محمـــد ســـعد

- **فـــــي شـــرف الـــعـــربـــيـــــة**

(+ طبعـــــتا مصـــــر وللغـــــرب) – الدكـــــتور إبراهـــــيم الســـــامرائي

- **المـــنهج النـــبوي والتغـــيير الحضـــاري**

(+ طبعـــتا مصـــر والمغـــرب) – الأســـتاذ بـــرغوث عبد العزيز بن مبارك

- **الإســـــلام وصـــــراع الحضـــــارات**

(+ طبعـــــتا مصـــــر وللغـــــرب) – الدكـــــتور أحمـــــد القديـــــدي

- **رؤيـــة إســـلامية في قضـــايا معاصـــرة**

(+ طبعـــــتا مصـــــر وللغـــــرب) – الدكـــــتور عمـــــاد الديـــــن خلـــــيل

- **المســـــــــــتقبل للإســـــــــــلام**

(+ طبعـــــتا مصـــــر وللغـــــرب) – الدكـــــتور أحمـــــد عـــــلي الإمـــــام

- **التوحـــيد والوســـاطة في التربـــية الدعوية**

("الجـــزء ١، ٢" + طبعـــتا مصـــر وللغـــرب) – الأســـتاذ فـــريد الأنصـــاري

- **الإســـــــــلام وهمـــــــــوم الـــــــــناس**

(+ طبعـــــتا مصـــــر وللغـــــرب) – الأســـــتاذ أحمـــــد عـــــبادي

- **التأصـــيل الإســـلامي لـــنظريات ابـــن خلـــدون**

(+ طبعـــــتا مصـــــر وللغـــــرب) – الدكـــــتور عـــــبد الحلـــــيم عويـــــس

- **عمـــرو بـــن العـــاص.. القـــائد المســـلم.. والســـفير الأمين**

("الجـــزء ١، ٢" + طبعـــتا مصـــر وللغرب) – اللواء الركن محمود شيت خطاب

- **وثـيقة مؤتمـر السـكان والتنمـية.. رؤيـة شرعية**

(+ طبعـتا مصـر وللغـرب) – الدكـتور الحسـيني سـليمان جـاد

- **في السـيرة النـبوية.. قـراءة لجوانـب الحـذر والحمايـة**

(+ طبعـتا مصـر وللغـرب) – الدكـتور إبراهـيم عـلي محمـد أحمـد

- **أصـول الحكـم عـلى المبـتدعة عـند شـيخ الإسلام ابن تيمية**

(+ طبعـتا مصـر وللغـرب) – الدكـتور أحمـد بـن عـبد العزيز الحليـي

- **مـن مرتكـزات الخطـاب الدعـوي في التبلـيغ والتطبـيق**

(+ طبعـتا مصـر وللغـرب) – الأسـتاذ عـبد الله الـزبير عـبد الـرحمن

- **عـبد الحمـيد بـن بـاديس "رحمـه الله" وجهـوده التربوية**

(+ طبعـتا مصـر وللغـرب) – الأسـتاذ مصـطفى محمـد حمـيداتو

- **تخطـيط وعمـارة المـدن الإسـلامية**

(+ طبعـتا مصـر وللغـرب) – الأسـتاذ خـالد مصـطفى عـزب

- **نحـو مشـروع مجلـة رائـدة للأطفـال**

(+ طبعـتا مصـر وللغـرب) – الدكـتور مـالك إبراهـيم الأحمـد

- **المـنظور الحضـاري في التدوين التاريخي عند العرب**

(+ طبعـتا مصـر وللغـرب) – الدكـتور سـالم أحمـد محـل

- **مـن فقـه الأقليـات المسـلمة**

(+ طبعـتا مصـر وللغـرب) – الأسـتاذ خـالد عـبد القـادر

- **الاجـتهاد الجمـاعي في التشـريع الإسـلامي**

(+ طبعـتا مصـر وللغـرب) – الدكـتور عـبد المجـيد السوسـوة الشـرفي

- **الـنظم التعليمية الوافدة في أفريقيا.. قراء في البديل الحضاري**

(+ طبعـتا مصـر وللغـرب) – الدكـتور قطـب مصـطفى سـانو

- **إشـكاليات العمل الإعلامي.. بين الثوابت والمعطيات العصرية**

(+ طبعـتا مصـر وللغـرب) – الدكـتور محـي الديـن عـبد الحلـيم

- **الاجـــتهاد المقاصـــدي.. حجيـــته.. ضوابطه.. مجالاته**

("الجـــزء ١، ٢" + طبعـــتا مصـــر وللمغـــرب) — الدكتور نور الدين مختار الخادمي

- **القـــيم الإســـلامية الـــتربوية والمجـــتمع المعاصـــر**

(+ طبعـــتا مصـــر وللمغـــرب) — الأســـتاذ عـــبد المجـــيد بـــن مســـعود

- **أضـــواء على مشكلة الغذاء في العالم العربي الإسلامي**

(+ طبعـــتا مصـــر وللمغـــرب) — الأســـتاذ عـــبد القـــادر الطرابلســـي

- **نحـــو تقـــويم جديـــد للكـــتابة العربـــية**

(+ طبعـــتا مصـــر وللمغـــرب) — الأســـتاذ الدكـــتور طالـــب عـــبد الـــرحمن

- **دور المـــرأة في رواية الحديث في القرون الثلاثة الأولى**

(+ طبعـــتا مصـــر وللمغـــرب) — الأســـتاذة آمـــال قـــرداش بنـــت الحســـين

- **الإعـــــلان مـــــن مـــــنظور إســـــلامي**

(+ طبعـــتا مصـــر وللمغـــرب) — الدكـــتور أحمـــد عيســـاوي

- **تكويـــــن الملكـــــة الفقهـــــية**

(+ طبعـــتا مصـــر وللمغـــرب) — الأســـتاذ الدكـــتور محمـــد عـــثمان شـــبير

- **الظاهرة الغربية في الوعي الحضاري.. أنموذج مالك بن نبي**

(+ طبعـــتا مصـــر وللمغـــرب) — الأســـتاذ بـــدران بـــن مســـعود بـــن الحســـن

- **الـــترويح وعوامـــل الانحـــراف.. رؤيـــة شـــرعية**

(+ طبعـــتا مصـــر وللمغـــرب) — الأســـتاذ عـــبد الله بـــن ناصـــر الســـدحان

- **فقـــــه الواقـــــع .. أصـــــول وضـــــوابط**

(+ طبعـــتا مصـــر وللمغـــرب) — الأســـتاذ أحمـــد بـــو عـــود

- **دعـــوة الجماهير.. مكونات الخطاب ووسائل التسديد**

(+ طبعـــتا مصـــر وللمغـــرب) — الدكـــتور عـــبد الله الـــزبير عـــبد الـــرحمن

- **اســـتخدام الرســـول ﷺ الوســـائل التعليمـــية**

(+ طبعـــتا مصـــر وللمغـــرب) — الأســـتاذ حســـن بـــن عـــلي البشـــاري

- **المصـــطلح خـــيار لغـــوي وسمـــة حضـــارية**

(+ طبعـــتا مصـــر وللمغـــرب) — الأســـتاذ ســـعيد شـــبار

- **عـــــالم إســـــــلامي بـــــــلا فقـــــــر**

(+ طبعـــتا مصـــر وللغـــرب) – الدكـــتور رفعـــت الســـيد العوضـــي

- **نحـــــــن والحضـــــــارة والشـــــــهود**

("الجـــزء ١،٢" + طبعـــتا مصـــر وللغرب) – الدكتور نعمان عبد الرزاق السامرائي

- **القواعـــد الشرعية ودورها في ترشيد العمل الإسلامي**

(+ طبعـــتا مصـــر وللغـــرب) – الدكـــتور محمـــد أبـــو الفـــتح البـــيانوني

- **الـــتفكك الأســـري .. الأســـباب والحلول المقترحة**

(+ طبعـــتا مصـــر وللغـــرب) – مجموعـــة مـــن الباحـــثين

- **الارتقـــــاء بالعربـــــية في وســـــائل الإعـــــلام**

(+ طبعـــتا مصـــر وللغـــرب) – الأســـتاذ نـــور الديـــن بليـــبل

- **الـــتفكك الأســـري .. دعـــوة للـــمـــراجـــعـــة**

(+ طبعـــتا مصـــر وللغـــرب) – مجموعـــة مـــن الباحـــثين

- **ظاهـــــرة العولمـــــة .. رؤيـــــة نقديـــــة**

(+ طبعـــتا مصـــر وللغـــرب) – الدكـــتور بـــركات محمـــد مـــراد

- **حقـــوق الإنســـان محـــور مقاصـــد الشـــريعة**

(+ طبعـــتا مصـــر وللغـــرب) – مجموعـــة مـــن الباحـــثين

- **حقـــوق الإنســـان بـــين الشـــريعة والقـــانون**

(+ طبعـــتا مصـــر وللغـــرب) – د.مـــنير حمـــيد البـــياتي

- **الـــبعد الحضـــاري لهجـــرة الكفـــاءات**

(+ طبعـــتا مصـــر وللغـــرب) – مجموعـــة مـــن الباحـــثين

- **معـــالم تجديـــد المـــنهج الفقهـــي.. أنموذج الشوكاني**

(+ طبعـــتا مصـــر وللغـــرب) – الأســـتاذة حلـــيمة بـــو كروشـــة

- **الطفولـــــة.. ومســـــؤولية بـــــناء المســـــتقبل**

(+ طبعـــتا مصـــر وللغـــرب) – أ.د. نبـــيل ســـليم عـــلي

- **في الاجـــــــــــتهاد التنـــزيـــــــــــلي**

(+ طبعـــتا مصـــر وللغـــرب) – د. بشـــير بـــن مولـــود حجـــيش

- **لا إنكـــــــار في مســـــــائل الخـــــــلاف**

(+ طبعـــتا مصـــر وللغـــرب) – د. عـــبد الســـلام مقـــبل المجـــيدي

وكـــــلاء التـــوزيـــع

البلد	اسم الوكيل	رقم الهاتف	عنوانه
قطـــــــر	دار الـــــــــــــــثقافة دار الثقافة «قسم توزيع الكتاب»	٤٦٢٢١٨٢ ٤٤١٣٤٧١	ص.ب: ٨١٥٠ – الدوحة فاكس: ٤٤٣٦٨٠٠-بجوار سوق الجبر
الســـعودية	مكتـــــــبة الـــــوراق	٤١٦٢٥٢٧	ص.ب: ٩ الرياض ١١٤١١ فاكس: ٢١٠٧٠٦٤٢
الـــــبحرين	مكتـــــــــــــبة الآداب	٢٣١٠٦٢ ٢١٠٧٦٨(المنامة) ٦٨١٢٤٣ (مدينة عيسى)	ص.ب: ٢٨٧ – البحرين فاكس: ٢١٠٧٦٦
الكويـــــت	مكتـــبة دار المـــنار الإسلامية	٢٦١٥٠٤٥	ص.ب: ٤٣٠٩٩ حولي شارع المثنى رمز بريدي: ٢٣٠٤٥ فاكس: ٢٦٣٦٨٥٤
سلطنة عمان	مكتـــبة علـــوم القـــرآن	٧٨٣٥٦٧٧	ص.ب: ١٩٦٠ روي ١١٢ فاكس: ٧٨٣٥٦٨
الأردن	مؤسسة الفريد للنشر والتوزيع	٥٦٠١٠٩٩	ص.ب: ٩٦٠٦٥٤-عمان فاكس: ٥٦٩٨٩٢٩
الـــــيمن	مجموعـــة الجـــيل الجديـــد	٧١٣٦٣-٧٨٠٤٠ ٧٥٨١١-٢٧٠٣٨	ص.ب: ٥٤٤- صنعاء فاكس: ٢١٣١٦٣
الســـودان	دار الـــــــــــــتوزيع	٧٨٠٥٨٨	ص.ب: ٣٥٨- الخرطوم فاكس: ٧٨٣٩٤٦
مصـــــــر	مؤسســـة توزيـــع الأخـــبار	٥٧٨٢٥٠٠ ٥٧٨٢٦٠٠	ص.ب: ٧ – القاهرة فاكس: ٥٧٩٠٩٣٠
المغـــــرب	مكتبة منار العرفان للنشر والتوزيع	٧٣٣٣٢٩	لهج موناستير رقم ١٦- الرباط
إنكلـــــترا	دار الـــــرعاية الإســـــلامية	(10) 272-5170/ 263-3071	Muslim welfare House, 233. Seven Sisters Road, London N4 2DA. Fax: (071) 2812687 Registered Charity No:271680

مركز البحوث والدراسات

هاتف: ٤٤٤٧٣٠٠

فاكس: ٤٤٤٧٠٢٢

برقياً: الأمة – الدوحة

ص.ب: ٨٩٣ – الدوحة – قطر

موقعنا على الإنترنت:

www.islam.gov.qa

البريد الإلكتروني: E.Mail

M_Dirasat@Islam.gov.qa

رقم الإيداع

٢٠٠٣/١٥١٤٠

الترقيم الدولى

977 - 08 - 1124 - 6

ثمن النسخة

الأردن	(٥٠٠) فلس
الإمارات	(٥) دراهم
البحرين	(٥٠٠) فلس
تونس	دينار واحد
السعودية	(٥) ريالات
السودان	(٤٠) ديناراً
عمان	(٥٠٠) بيسة
قطر	(٥) ريالات
الكويت	(٥٠٠) فلس
مصر	(٣) جنيهات
المغرب	(١٠) دراهم
اليمن	(٤٠) ريالاً
* الأمريكتان وأوروبا وأستراليا وباقي دول آسيا وأفريقيا: دولار أمريكي ونصف، أو ما يعادله.	

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
مـــركز البـــحوث والدراســـات
أمانة الجائزة

جائزة الشيخ
علي بن عبد الله آل ثاني
للعلوم الشرعية والفكر الإسلامي

إسهامًا في تشجيع البحث العلمي، والسعي إلى تكوين جيل من العـــلماء في مـــيادين العلوم الشرعية المتعـــددة، تنظم أمانة جائزة الشيخ علي بن عبد الله آل ثاني «رحمه الله» العالمية، مسابقة بحثية في مجال الدراسات الإسلامية، جائزتها (١٠٠) ألف ريال قطري.

شروط الجائزة:

١- يُشـــترط في الـــبحوث المقدمة، أن تكون قد أُعدّت خصيصًا لـــلجائزة، وألا تكـــون جزءًا من عمل منشور، أو إنتاج علمي حصل به صاحبه على درجة علمية جامعية.

٢- أن تـــتوفر في البحوث المقدمة خصائص البحث العلمي، من حيـــث الإطـــار النظري للبحث، و المنهج العلمي ، والإحاطة والشمولية، والجدة والابتكار.

٤- يحـــق للجنة التحكيم التوصية بمنح الجائزة مشتركة بين اثنين أو أكثر مـــن الباحـــثين، كما يجوز اشتراك باحثين أو أكثر في كتابة بحوث الجائزة.

٥- يحق للجهة المشرفة سحب قيمة الجائزة، إذا اكتشفت أن البحث

الفائـــز قد نشر سابقًا، أو قدم إلى جهة أخرى، لغرض آخر، أو مســـتلاً من رسالة علمية، كما يحق لها حجب الجائزة في حالة عدم ارتقاء البحوث المقدمة للمستوى المطلوب.

٦- لا تمنح الجائزة لمشارك واحد أكثر من مرة خلال ثلاث سنوات.

٧- يقـــدم الباحث ملخصًا لبحثه في حدود خمس صفحات باللغة العربية، والإنجليزية إن أمكن.

٨- يُقدم البحث باللغة العربية من ثلاث نسخ، مكتوبًا على الحاسوب، على ألا يقل عدد صفحاته عن (٢٠٠) صفحة، ولا يزيد على (٢٥٠) صفحة (A٤×٢٠ سطرًا× ١٠ كلمات) ، حوالي(٤٠٠٠٠) كلمة .

٩- يُرفق مع البحث ترجمة ذاتية لصاحبه، وثبتًا بإنتاجه العلمي المطبوع وغير المطـــبوع، بالإضافة إلى صورة جواز السفر وصورة شخصية حديثة، وصورة من القرص الذي طبع منه البحث .

١٠- تُعرض البحوث على لجنة من المحكّمين.

وقـــد أعلـــن عـــن موضوع " **دور التراث في بناء الحاضر وإبصـــار المستقبل** " كعنوان لجائزة ١٤٢٤ هـــ - ٢٠٠٣ م، وفق المحاور العامة الآتية:

- أهمية التراث في تشكيل شخصية الأمة، وحمايتها، وإغناء حاضرها، ورؤية مستقبلها.
- كيفـــية الـــتعامل مع التراث: تحقيقاً للنص، وإعمالاً له.. ومعايير القبول والرد.

- الآخـــر والتراث: التراث- مدخل الاستشراق، وأحد معابر الغزو الثقافي- ،التبعيض ومحاولات القراءة المذهبية(أدلجة التراث).
- انفـــتاح الـــتراث على الآخر، (إنسانية التراث الإسلامي) وقدرة المخـــزون التراثي على المساهمة في بناء المشترك الإنساني في حقبة العولمة.

آخر موعد لاستلام البحوث نهاية شهر يوليو ٢٠٠٤ م.

العنوان البريدي:

* ترسل البحوث بالبريد المسجل على العنوان التالي:

مركز البحوث والدراسات

أمانة الجائزة

ص.ب: ٨٩٣ — الدوحة — قطر

للاستفسار يرجى الاتصال على :

هاتف : ٤٣٢٤٥٨٤ — ٤٤٤٧٣٠٠ — ٤٤٢٠٠٦٦

فاكس: ٤٤٤٧٠٢٢-٤٤٢٠٠٩٩/ ٠٠٩٧٤

البريد الإلكتروني: E_Mail: M_Dirasat@Islam.gov.qa

معتصم بابكر مصطفى

* من مواليد السودان.
* حصل على درجة الدكتوراه في الإعلام سنة ١٩٩٩م.
* اشـــتغل بالـــتديس في كلـــية الإعلام، جامعة أم درمان الإسلامية (٩٠-٢٠٠١م).
* يعمـــل حالياً مديراً للمكتب الوزاري التنفيذي، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي (السودان).
* مدير مركز الرؤية لدراسات الرأي العام، الخرطوم.
* له العديد من الدراسات والكتب، منها:
  - الإذاعات الدولية وتشكيل الرأي العام.
  - الاتصال الدولي.
  - مجموعـــة مـــن أوراق العمل حول الإعلام، قدمت للهيئة الوطنية للتسكين، السودان.

الدور الحضاري للأمة المسلمة في عالم الغد

صدر كتاب : (**الدور الحضاري للأمة المسلمة في عالم الغد**)، باللغات العربية والإنجليزية والفرنسية، عن مركز البحوث والدراسات في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، في مناسبة انعقاد مؤتمر القمة الإسلامي التاسع في رحاب دولة قطر (تشرين أول/نوفمبر ٢٠٠٠م)، مساهمة في إحياء عملية الاجتهاد والتجديد وإعادة بناء مشروع النهوض، لتستأنف الأمة المسلمة دورها في الشهود الحضاري وإلحاق الرحمة بالعالمين، وما يتطلبه ذلك من معرفة الذات، وما تمتلكه الأمة من الإمكان الحضاري والتخطيط لحسن استثماره، ومعرفة (الآخر)، المعرفة التي تمكن من كيفية التعامل معه ودعوته إلى كلمة سواء، وتحقيق المشترك الإنساني.

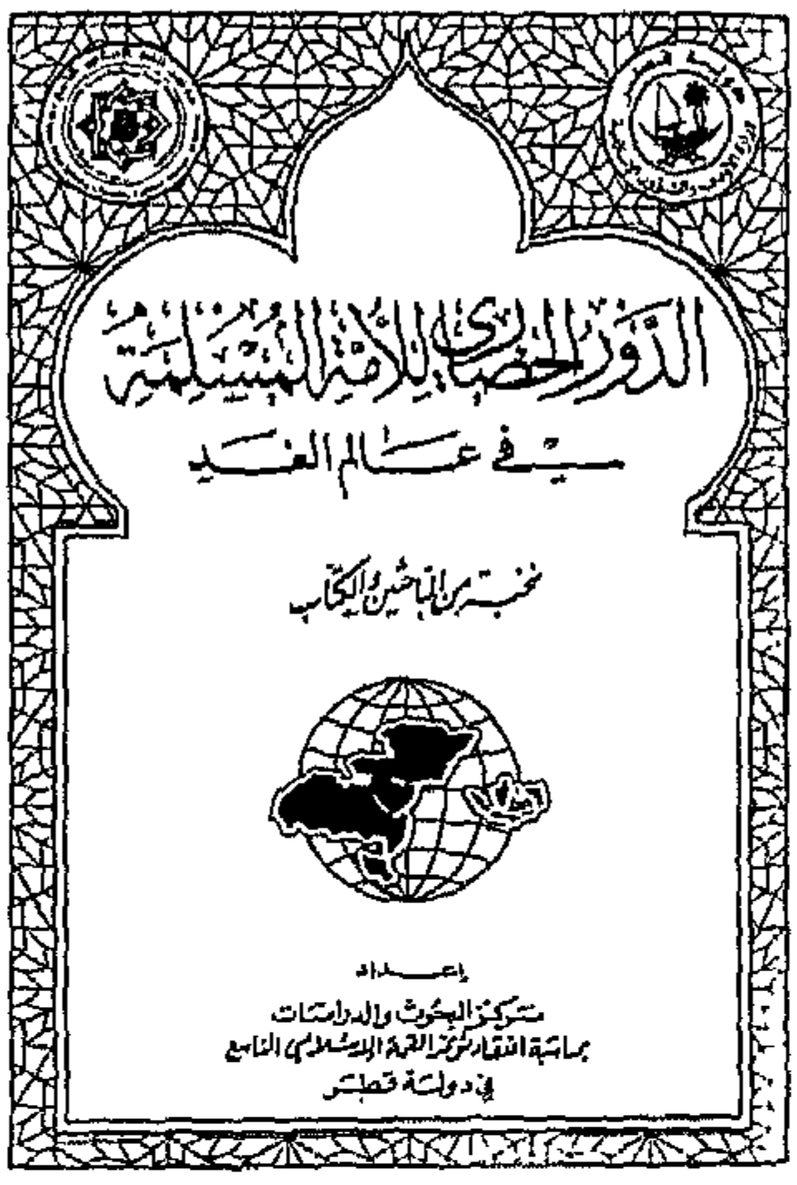

ويـــأتي الكتاب - الذي تقع نسخته العربية في (٧٥٢) صفحة مـــن الحجم المتوسط (١٧×٢٤سم)- في إطار مـــحاولة لتقديـــم رؤيـــة مستقبلية، لما يمكن الاصطلاح على تسميتهم (أهل الاجتهاد والفكـــر والـــرأي)، بحيث تشكل هذه الرؤية أحد أدلة العمل أمام أصحاب القرار للوصول إلى تحقيق الانسجام والتكامل والتصالح بين أهل الرأي وأصحاب القرار.

وكـــان الهدف الأساس من هذا المشروع الثقافي الممتد، التعرف على الإمكان الحضاري الذي تتوفر عليه الأمة، والرؤية الاستراتيجية لتفعـــيله، وكيفـــية استرداد الدور الغائب للأمة لتستأنف من جديد رسالتها في الشهود ومعالجة أزمة الحضارة، وتـــحقيق الغاية التي من أجلها جاءت الرسالة .

ولقد كان الحرص أن تأتي المساهمات من مواقع ثقافية وجغرافية ومدارس فكرية ومذهبية متنوعة، ممثلة، إلى حد كبير ، لجميع بلاد العالم الإسلامي الأعضاء في منظمة المؤتمر الإسلامي، على اختلاف مذاهـــبهم وتوجهـــاتهم، إضافة إلى مساهمات ممن يعيشون ضمن منظومة الثقافة الغربية المعاصرة ومؤسساتها.

وقد تركز الكتاب حول أربعة محاور أساس :

* أهم مقومات وشروط النهوض التي تمتلكها الأمة ، في إطار التعرف على الذات (الإمكان الحضاري) .
* أســـباب عطالـــة الأمة وعدم فاعليتها: المعوقات (التعرف على مواطن الخلل).

* أزمة الحضارة العالمية وحاجتها إلى الرؤية الإسلامية (معرفة الآخر وتحديد الحاجة والمداخل الفاعلة).
* أولويات مشروع النهوض على مستوى الأمة، والرؤية الاستراتيجية لمستقبل العمل الإسلامي العام (دليل عمل، أو سبيل الخروج).

وكان التوجه إلى عدم تحديد المحاور التي تدور حولها المساهمات، حتى لا يشكل ذلك محددات مسبقة لرؤية الباحث، فترك الموضوع لكل باحث يتناوله من الزاوية التي يرى أهميتها، دون تحديد مسبق أو مداخلة لاحقة ، ومن ثم المحافظة على نص الباحث، على الرغم مما يمكن أن يوجد فيه – أحيانًا – من بعض الملحوظات أو التحفظات القابلة للمناقشة.

لذلك جاءت الآراء والاجتهادات الواردة في الكتاب تعبيراً حقيقياً عن وجهة نظر أصحابها؛ وهي تشكل في محصلتها محاولة لتقديم رؤية عن الواقع الموجود، بكل ما فيه، الذي تمور به الساحة الفكرية، ونوافذ مهمة تمكن من الإطلالة على هذا الواقع الثقافي القائم.

وتتمثل المحصلة الثقافية لهذا المشروع-الكتاب في أهمية طرح الأمر، وتأكيد الرؤية المستقبلية واستدعائها إلى مجال الهم الثقافي العام، وساحة تفكير النخبة المثقفة بشكل أخص، وذلك بغض النظر عن نوعية بعض المساهمات وقدرتها على إثراء الموضوع من جوانبه المتعددة وتحقيق الهدف المأمول، حيث إنها تعتبر باكورة لدراسات مستقبلية متكاملة ونضيجة.

البُعْدُ الرِّسَالِيُّ
لمجلس التعاون الخليجي
«بلاد الجزيرة العربيّة»

صدر كتاب: «**البعد الرسالي لمجلس التعاون الخليجي.. بلاد الجزيرة العربية**»، عن مركز البحوث والدراسات في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، بمناسبة انعقاد الدورة الثالثة والعشرين للمجلس الأعلى لمجلس التعاون لدول الخليج العربية في دولة قطر، في كانون الأول (ديسمبر) ٢٠٠٢م، إسهاماً في الدعوة إلى تجديد الانتماء وإعادة النظر والمراجعة والتقويم للواقع، في محاولة لاستشراف الماضي وإبصار المستقبل، وسعياً للارتقاء والتنمية والنهوض على مختلف الأصعدة، وتأكيداً على أهمية الاضطلاع بالدور الرسالي لبلاد الجزيرة العربية، التي اختارها الله أرضاً للرسالة الخاتمة وشرفها بالإسلام.

ويشـــكل الكتاب، الذي جاءت نسخته العربية في (٤٣٢) صـــفحة مـــن الحجم المتوسط، رؤية للبعد الرسالي، وأحد أدلة العمـــل المستقبلي أمام إنسان المـــنطقة وأصـــحاب القرار، والاستشـــعار بالمســـؤولية الحضـــارية نحـــو الـــذات و(الآخـــر)، بحيـــث يكـــون استشراف الماضي هو السبيل لـــتقويم الحاضـــر وإبصـــار المســـتقبل، والارتقاء بإدارة الموارد البشـــرية، وإدارة المـــوارد المادية، للعطاء الأفضل.

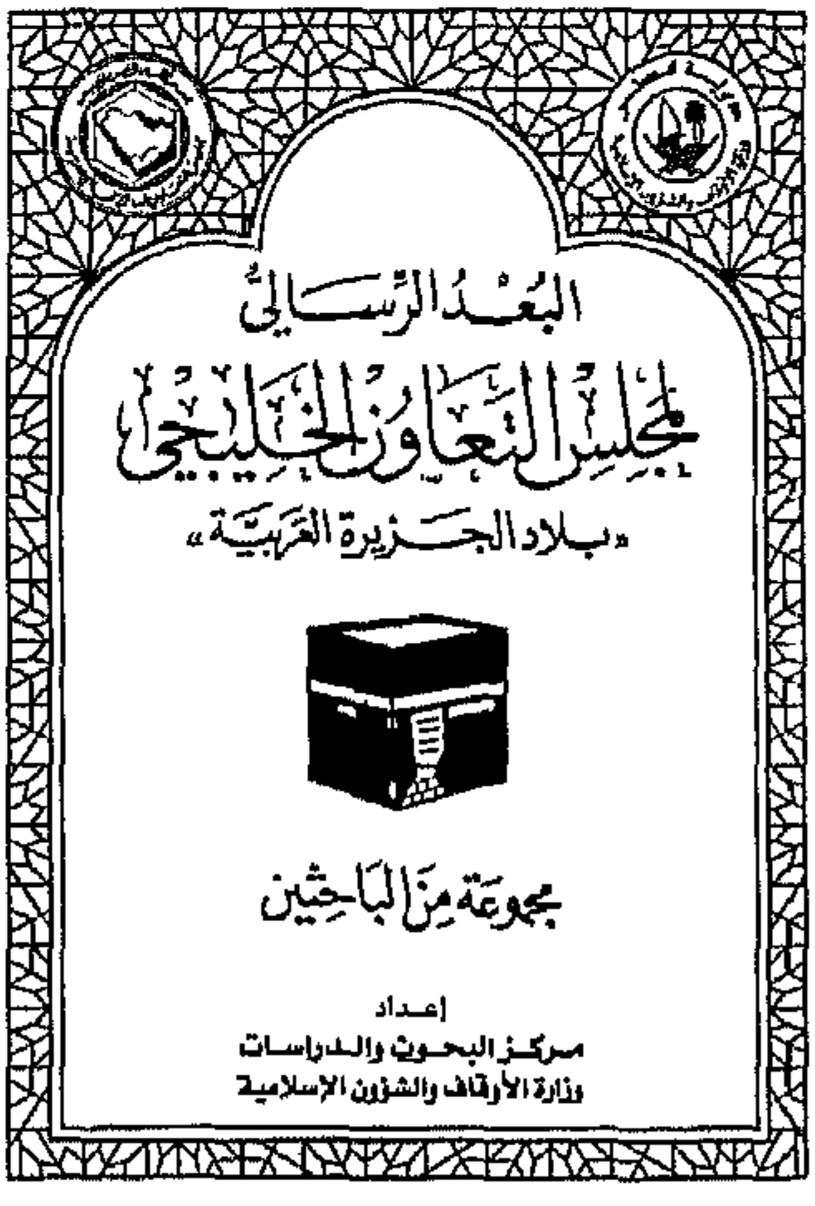

وشـــارك في هذا العمل الثقافـــي، الذي جاء تحت شعار قولـــه تعالى:

﴿ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥۗ ﴾ نخـــبة من الباحثين على مستوى دول الخليج العربية.

وقد اشتمل على ثلاثة محاور أساس:

المحور الأول: استشراف الماضي (التجربة الحضارية التاريخية):

- الجـــزيرة العربية أرض النبوة الأولى (إبراهيم أبو الأنبياء علـــيه الصـــــلاة والســـلام) والرســـالة الخاتـــمة (محمد عليه الصلاة والسلام)؛

- الـــنص السماوي، وخاتمية وخلود الرسالة، وقدرتها على الإنتاج والنهوض تاريخياً؛

- عطـــاء التجربة التاريخية (القيادة الحضارية العالمية): عبرة الماضي ورؤية المستقبل.

المحور الثاني: الإمكانات المذخورة:

- **الإمكـــان الـــتاريخي:** مهبط الوحي؛وراثة النبوة؛التجربة الحضـــارية التاريخية؛امـــتلاك الأنموذج التطبيقي (السيرة النبوية، وخير القرون)؛ العطاء الإنساني على مستوى الذات و(الآخر).

- **الإمكان الثقافي والاجتماعي:** عالمية الرسالة وإنسانيتها؛ امتلاك الطاقة الروحية(الحرمين)؛ الرصيد الإسلامي في العالم؛ قبلة المســـلمين (توجـــه المسلمين اليومي صوب الجزيرة العربية(دول مجلـــس الـــتعاون) واســـتمرار الارتحال للحج والعمرة؛ عوامل

التجانس والتشـــكيل المشـــترك، والتي تؤهل للـــدور الرسالي: العقـــيدة (القـــرآن)، اللغة واللهجات،التاريخ المشترك،العادات والتـــقاليد وطبيعة الوحـــدات الاجتماعـــية (الأسرة والقبيلة)، الوحـــدة الجغرافـــية، الظروف الطبيعـــية (الجغرافيا)؛ التزاوج؛ التداخل السكاني (الديموغرافي).

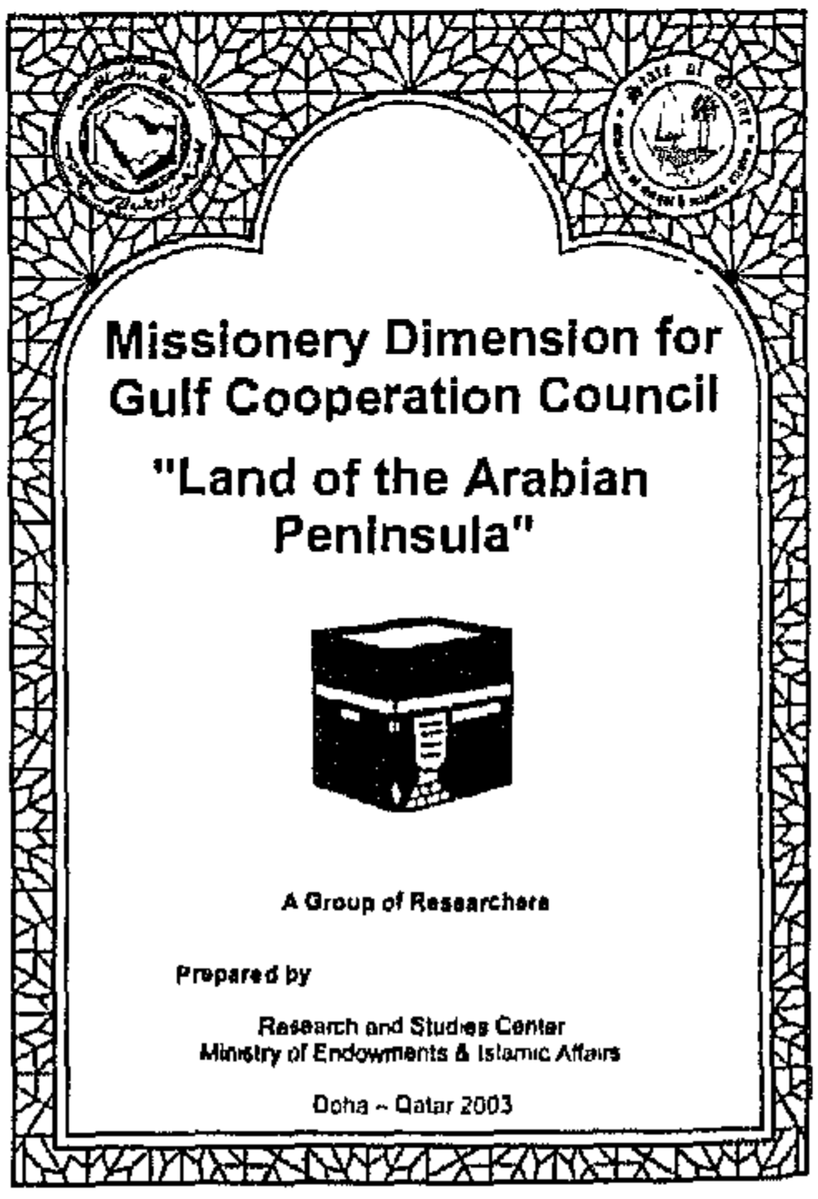

– الإمكـــان الاقتصادي:

امتلاك الطاقة المادية(النفط، المحرك الأساس لعجلة الحضارة العالمية)؛ الموقـــع الجغرافي؛ ارتفاع مستوى الدخـــل؛ توفر الأمن الاقتصادي والاجتماعي.

المحور الثالث: إبصار المستقبل (الرؤية المستقبلية للاضطلاع بالدور الرسالي):

الحاجـــة الإنسانية الحضارية المتأزمة للدور الرسالي؛ مواطن الخلـــل وأســـباب القصور وعوامل الإعاقة؛ السبيل إلى الخروج ومعاودة الإحياء والبعث لأمة الرسالة، لإلحاق الرحمة بالعالمين.

**** تمت ترجمة الكتاب حديثاً إلى اللغة الإنجليزية.**

كتاب الأمة

سلسلة دورية تصدر كل شهرين عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - قطر

ص . ب : ٨٩٣ . الدوحة . قطر

من شروط النشر في السلسلة

- أن يهتم البحث بمعالجة قضايا الحياة المعاصرة، ومشكلاتها، ويسهم بالتحصين الثقافي، وتحقيق الشهود الحضاري، وترشيد الأمة، في ضوء القيم الإسلامية.
- أن يتسم بالأصالة، والإحاطة، والموضوعية، والمنهجية.
- أن يشكل إضافة جديدة، وألا يكون سبق نشره.
- أن يُوثق علميًا، بذكر المصادر، والمراجع، التي اعتمدها الباحث مع ذكر رقم الآيات القرآنية، وأسماء السور، وتخريج الأحاديث.
- أن يبتعد عن إثارة مواطن الخلاف المذهبي، والسياسي، ويؤكد على عوامل الوحدة والاتفاق.
- يفضل إرسال صورة عن البحث، لأن المشروعات التي ترسل لا تعاد، ولا تسترد، سواء أعتمدت أم لم تعتمد.
- ترسل السيرة الذاتية لصاحب البحث.
- تقدم مكافأة مالية مناسبة.

هذا الكتاب.. يمكن أن يعتبر محاولة لتقديم بعض الملامح حول أساليب القرآن في الإقناع، ودعوة لاستصحاب هذه الأساليب في تعاملنا مع الثقافات الوافدة في هذه الحقبة الخطيرة من حياة البشرية، حقبة الحضارات أو صراع الحضارات والسعي لفرض أنماط ثقافية باسم العولمة والنظام العالمي الجديد، على اعتماد القرآن سبيل الإقناع من أن شعاره الكبير كان وما يزال: ﴿لَآ إِكْرَاهَ﴾.

كما يمثل دعوة للتبصر بمنهج القرآن والتعامل معه بأدوات صحيحة، والتحقق بوسائله، أو استراتيجيته في الإقناع وهدم التوهم بأن الإكراه هو الذي يقنع الإنسان ويحقق نقله من الكفر إلى الإيمان.

إن قيادة الإنسان تتأتى من خلال قناعاته، ومع ذلك فإن بعضنا ما يزال يعتقد أن السيف أصدق إنباء من الكتب، فيدخل الكثير من المعارك الغلط باسم الدين، ويهدر الكثير من الطاقة باسم الجهاد، تخطئ اختيار الوسيلة باسم مصلحة الدعوة، ويفتقد الحكمة في النظر.

وكم نتمنى أن الدراسات والجهود التي اجتمعت على بيان عظمة القرآن يتحول بعضها ليتبين أين الخلل، وكيف نعيد التواصل مع القرآن.. ذلك أن من أبرز خصائص القرآن أنه فالقرآن بطبيعته حمَّال أوجه، وهذا يمنح طاقة هائلة وخصبة للنظر والرؤية، ويد وإغناء الرحلة العلمية؛ وكلٌ يرتقي حسب قدراته العقلية: ﴿فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ﴾ الثواب والأجر حسب كسبه المعرفي.

Bibliotheca Alexandrina
0962672

طبعة
بجمهورية مصر العربية
الثمن ٣ جنيهات

طبع بمطابع دار أخبار اليوم